43400

رواية

أولاد مهران

رفعت فيّاض

أولاد مهران

رفعت فيَّاض

الطبعة الأولى ٢٠١٣

دار روعة للطبع والنشر والتوزيع

المدير العام : هبة الشرقاوي
موبايل : ٠١١٤٠١٧٨١٤٤
darrawaa@yahoo.com

الاخراج الفني
أيمن دويدار

الغلاف
عبد الرحمن حافظ

رقم الإيداع: ٢٠١٣/١٠٩١٩

الترقيم الدولي
٨-٨٧-٦٤١١-٩٧٧-٩٧٨

المكان يمتلأ بالحركة وُصراخ المرأة يهزُّ قلب الليل الضاغط بكفَّيه علي فم نجع المشابك , شدَّت أم حمدي القابلة فانزلق الطفل أمسكته :

- بسم الله
- ولد

زغردت إمرأة موجودة وخرجت سريعاً إلي مهران الذي يجلس علي دكة في سقيفة المنزل وبجواره ابنه شوقي :

- مبروك يا ابوشوقي .. ولد

رفع يديه إلي السماء وحمد الله وأعطاها خمس جنيهات , تعجبت أم حمدي من الطفل الذي لم يبكِ ضربته ولم يبكِ , قرصته ولم يبكِ كان الطفل فاتحاً عينيه إقتربت من صدره فوجدته يتنفس وضعته في جلباب قديم كان من ضمن الملابس المجهزة لقدومه وخرجت به لوالده :

- ولدك ده ربنا يستر عليه ما بكاش زي العيال

نظر إليه مهران فبادله النظر ثم تثائب وبدأ ينام

إبتسم مهران وهزَّ رأسه ضاحكاً حين تذكر مولد مالك ابنه الثاني الذي ما بكي طوال حياته وقال مخاطباً زوجته :

- كِبر مالك وهاشم
- انشا الله يرجعوا غانمين من غربتهم يا أبوشوقي.

هاشم في منزل عمته وهيبة ويجلس معه مروان الإبن الأكبر وفتحي وفريال , ذهب ليودعهم قبل سفره صباحاً إلي سفاجا ومنها للكويت فأخيراً بدأت الحياة تبتسم له بعقد عمل له ولأخيه مالك ويستطيع بعد العودة أن يتم زواجه بفريال التي طالما تمنَّاها زوجة له منذ أن قرأ قلبه أول حروف الحب .

كثيراً ما صعد أعلي منزلهم ليلاً يستمع لأم كلثوم متمدداً علي القش ينظر للسماء تارة ويغمض عينيه تارة وحين يتذكر فريال يبتسم لكل شئ من حوله لليل القمر وحتى لطلقات النيران التي تأتي من بعيد التي يطلقها الخفر بين الحين والحين.

وقبل أن يأخذ رشفة من كوب الشاي الذي أمسكه بيده , في هذه اللحظة دق الباب فقام فتحي وفتح الباب فإذا بمصطفي شقيقه بالباب :

- هاشم هنا؟

- أيوة ...

ونظر مصطفي الي هاشم وقال :

- فيه ناس عندكم في البيت عايزين يسلموا عليك .

فوقف هاشم ولكن مروان أصَّر ألا يمشي قبل أن يشرب الشاي فجلس مرة أخري وأخذ رشفة من كوب الشاي الذي أمسكه بيده في هذه اللحظة.

وضع كوب الشاي بجانبه ونظر إلي عمته قائلا:

- إنشاء الله يا عمه أنا مسافر..والظروف تتغير ويبقي فاضل إن الواحد يرجع يجَّوز.

هنا قامت فريال ودخلت أحدي الغرف بعد أن تفجَّر وجهها

خجلاً . فهي تعلم ما يعنيه هاشم وهي تكن له مثل عواطفه وأكثر وإن كان لمُ يخبر كل منهما الآخر فهكذا تعود أهل البلدة الحب هو إشارة بقبول الآخر وليس أكثر.

– يا ولدي ربنا يكرمك إنت وأخوك والله دايماً أدعيلك يا هاشم انتوا زي مروان وفتحي ومصطفي .

– ربنا يخليكي يا عمه.. أنا عايز تدوني كلمة عشان بالي يبقي مرتاح.

نظرت الأم إلي إبنها مروان وكأنها تطلب منه أن يتكلم فهو رجل البيت والكلام يجب أن يكون بين الرجال ففهم مروان علي الفور وقال:

– مفيش مانع عندنا يا هاشم ..وإنشاء الله لما ترجع وتجهّز نفسك كله يخلص بعون الله.

تنفس هاشم وشعر براحة كبيرة وقام وسلّم علي الموجودين وبدأ خطواته نحو الباب وكانت بطيئة فأقبلت فريال مسرعة وسلمت عليه وهمست له بكلمات قليلة انصرف بعدها .

● ● ● ● ● ●

في منزل متواضع سقفه من عروق النخيل وحوائطه من الطوب اللبن وفي سقيفة المنزل آية قرآنية معلقة بمسامير ليس لها برواز وإنما تطل عليك بخطها الجميل حين تدخل من الباب (والسماء رفعها ووضع الميزان).

الحضور يشربون الشاي ويتضاحكون كانوا أولاد عم مالك وهاشم وبعض الجيران وبعض أهل البلدة الذين لهم أقارب أو أصدقاء بالكويت جاءوا أيضا ليودعوا الأخوين ويعطونهما بعض

الخطابات والأشرطة لذويهم .

جلس هاشم بين الحضور بعد أن سلم علي الجميع

- بيقولوا هناك ناس هنود وفلبين ومن كل الدنيا .

- الناس دي كلها مع تتكلم مع بعضها كيف؟

- الجواب ده لحسن أبو مصطفي هتقابله هناك لما توصل بالسلامه أنشاء الله

- كله إتعلم العربي ..أكل العيش كده

- يبقي المصرين لما يسافروا البلاد الأجنبية مش بيتعلموا لغتهم؟

- أوعي يا مالك تجوّز هندية وتجيبها لابوك مهران

ووضع أحدهم يده علي فمه وخفض رأسه قليلا :

- ما هو مهران بيتكلم هندي لبلب

فضحك الجميع وتعالي صوتهم بالضحك

- السلام عليكم

قالها مهران ودخل إلي المنزل وهو يحمل تموين الشهر فشعر بعض الموجودين بالحرج ربما أن يكون مهران سمعهم فقاموا وسلموا علي مالك وهاشم وتمنوا لهم الوصل بالسلامة وإنصرفوا .

أنتهي المجلس وانصرف كلٌ إلي منزله وأخذت الأم حكومة وأبنتها سهام في تجهيز العشاء .

وأسم الأم حكومة هذا لأنها ولدت ليلة أن جاءت الشرطة لتقبض علي والدها بعد أن قتل رجلاً من أهل البلدة في مشاجرة وتعود أهل البلدة أن يطلقوا علي الشرطة أسم الحكومة .

وعلي العشاء قال مهران :

- خدوا بالكم من نفسكم يا أولاد ..الفلوس مش بيلقوها واقعة

علي الأرض هناك والناس الي بتشوفوها جايبة فلوس من الخارج شربت المرّ وصبرت كتير علي الغربة.

فرد مالك :

- ما تقلقش يا با .. أنشاء الله هتسمع علينا سمع خير.

وانتهي الجميع من العشاء وإنصرف كل واحد منهم لينام , حاول هاشم أن ينام والسعادة تملأ قلبه ..ولكنه شعر بقلق من الحياة الجديدة القادمة بكل ما تحمل من غموض لم يعرف كنهه فظل مستيقظاً حتي آذان الفجر فذهب وأيقظ مالك ليصليا الفجر ويبدأءا الإستعداد للسفر.

انفتح باب البيت :

- صباح الخير

قالها شوقي الأخ الأكبر ودخل المنزل فرد عليه هاشم

- صباح النور أمال كنت فين ؟

- علي القهوة

نظر هاشم ومالك إلي بعضهما وهزَّ مالك رأسه كأنه يقول مفيش فايده

لم يندهش الأخوان فشوقي كثيراً ما يعود متأخراً في الصباح والإجابات ثابتة (علي القهوة) وأحياناً يضيف (مع أصحابي).. (قاعدين علي الكوبري)

بعد ساعة أصبح الأخوان جاهزين للسفر وسلما علي كل الموجودين بالبيت وقال مهران:

- خد بالك من اخوك يا مالك

- حاضريابا

وأضافت حكومة مدمعة :

- أبعتو جوابات وشرايط مع كل الي ينزل .

خرجا من المنزل وكانت السيارة في انتظارهما للذهاب الي سفاجا.

●●●●●●

إستيقظ شوقي قبل العصر بقليل وأحضرت له سهام ليأكل في هذا التوقيت الذي تعود أن يستيقظ فيه وجلست حكومة أمام شوقي علي الدكة في مواجهته وقالت :

- شوف يا ولدي إخواتك سافروا وانت مش حاطط يدك في الزرع خالص

- حاضر

- تاخد بالك ..تمر علي الغيطان والغيط الي عايز ميه..والي عايز ملح (ملح يقصد بها السماد الكيماوي)

- حاضر

كان يأكل ولم ينظر إلي والدته وكأنه يريد بالرد حاضر أن تتركه بدون أوامر إضافية ومال الحريم ومال الزرع ، فمنذ بداية تعلمه المشي والكلام وهي تحقن فيه العنف وعدم ترك أحد يضربه

- حاضر

ولا يحعل أحد يشتمه

- حاضر

وبعد سنوات قليلة..ولا يجعل أحد يضرب أحد أخوته

- حاضر

وحكومة إمرأة حادة الطباع لا تبتسم كثيرا , في جبينها ثنايا جلدية تيبست وثبتت علي تكشيرة مستمرة تربي أولادها علي رؤيتها..ولم تفرق الأم بين الصبيان وسهام البنت الوحيدة في طريقة التربية فجاءت البنت مثل أخوتها لم يعرفوا الدلع بلغة أهل القرية ولم يشتري لهم الأب الألعاب أو تقوم الأم باللعب معهم , التسلية الوحيدة كانت في أفراح أحد أهل القرية حين يأتي بائعوا الحلاوة والترمس وفي شم النسيم يذهب شوقي ويشتري بعض الألعاب التي لا تخرج عن بندقية أو مسدس.

جلس شوقي علي الدكة وأمسك بكوب الشاي شرب منه وأمسك بالشيشة وأخذ يشد منها ويتذكر حين كان طفلاً وجاءه هلال أمام منزلهم وهلال هذا ابن عبد العال البقال جارهم ويكبر شوقي بخمس سنوات وهو أطول وأضخم من شوقي وكان دائم الشجار معه :

- تلعب حصان يا شوقي

- ومين يبقي الحصان

- إنت طبعا

- لأ..أنا أبقي فارس إنت الي زي الحصان وصوتك زي الحمار

وأسرع هلال بضربة علي وجه شوقي فردها شوقي بسرعه فانهال عليه هلال بالضرب فسقط وعلا عليه بالضرب وصرخ وبكي كثيراً فخاف هلال أن يخرج أحد من منزل شوقي فقام وأسرع بالانصراف.

دخل شوقي ابن السابعة منزلهم باكياً ومسرعاً إلي أمه يشكو لها

هلال الذي ضربه نظرت الأم بنظرة تمتلئ غضباً وسخطاً عليه وحتي اليوم يخشي أن يري هذه النظرة مرة أخري , أمسكت به من كتفه وسحبته إلي خارج البيت فأطاعها معتقدا أنها سوف تخرج لتضرب هلال الذي هو أكبر منه لكن الأم وأمام البيت دفعته بشدة وقالت :

- مش هتدخل البيت ولا تاكل الا لما تخلص ضربتك وواربت الباب......

وقف وحيداً خارج البيت ودموعه لم يمسحها , ولم تمسحها والدته التي لجأ إليها .وقف وحيداً ليس معه إلا حزنه وخوفه من بطش هلال به مرة أخري ولكن كلام والدته ملأ قلبه كرها وغيظا , إذن لابد أن يعوِّض فرق القوة بينه وبين خصمه فالقتال بالأيدي لن يجدي.

فبحث في الأرض حتي وجد طوبة كبيرة ملأت كفه الصغير أمسكها وأخفاها بقدر المستطاع خلف ظهره , إقترب من هلال الذي كان يجلس أمام دكان البقالة الذي أغلقه والده للتو وإنصرف ليشتري بضاعة.

نظر هلال إلي شوقي الذي يخفي شيئا في يده اليمني خلف ظهره .. اقترب شوقي حتي شعر أنها اللحظة المناسبة وأطلق الطوبة من يده بكل غيظ وحقد ناحية هلال فاصطدمت برأسه فأندفع الدم يجري في الحال علي وجهه وسقط وقام يبكي ويصرخ وشوقي يقف أمامه ولم يفعل هلال شيئاً إلا البكاء والصراخ بعد أن رفع يده إلي رأسه فعادت ملطخة بالدماء وأرتاح شوقي لمنظره وهو يبكي ولنظرة الخوف الشديدة تجاهه واستدار إلي طريق منزلهم في خطوات قليلة بعدها جري بأقصى سرعة له إلي داخل المنزل نظرت إليه والدته ولم تسأله فشتان بين نظرته الأولي التي امتلأت

خوفاً وخزياً ونظرته الآن التي تفيض إعجاباً وفخراً بنفسه.

وضع الشيشة إلي طرف الدكة وألقم أصابع رجليه للشبشب وقام خارجاً من المنزل.

علي سطح الباخرة المتجه من سفاجا تشق البحر ينظر هاشم إلي الأمواج التي تذكره بابتسامة فريال

- ترجع لينا بالسلامة

كانت هذه آخر كلمات قالتها له وهي تودعه من باب المنزل

- يا كريم يا رب

قالها هاشم ثم تنهد تنهيدة طويلة

●●●●●●

قهوة خارج البلدة.. عبارة عن مجموعة من الدكك وغرفة من البوص بها العدّة اللازمة لتجهيز المشروبات وأمامها نصف برميل قديم لتجهيز الفحم يجلس شوقي وحيداً والشيشة في يده يقترب منه اثنان يتحدثان معاً , عندما يصلان إليه يصافحانه ويجلس أحدهما علي يمينه والآخر علي يساره ويمسك بالشيشة من يد شوقي ويدخن والآخر يقترب من أذنه ويهمس له بكلمات وشوقي يرد بإنحناءه خفيفة من رأسه :

- ايوه

- ايوه

- ماشي

- النهارده

ينصـرف الاثنان وأثناء قيـامـهـمـا ينظران إلي شـوقي ويعطون جميعاً إشارة الإتفاق علي شئ ما ثم يمسك شوقي بالشيشة ويشد من دخانها.

ليلاً..في منزل فرج

فرج عبد المقصود الصديق المقرب لشوقي فمنذ أن كانا طفلين جمعتهما هذه الصداقة التي جعلت شوقي هو الآخر اقرب إنسان لفرج الذي يعيش وحيداً في بيته بعد وفاة والدته منذ سنوات وسبقها وفاة والده.

جلس شوقي وعطيه صديقهما الثالث وقال فرج :

- الحكاية إن موسي الراجل إليِّ ساكن جنبي من زمان يقولوا له بيتك فيه لقيَّه (يقصد بكلمة لقية أي كنز أو مقبرة فرعونية)

ومن كام يوم جاب شيخ يكشف عنها ، الشيخ قاله مفيش فبيتك حاجه بس البيت الي جنبك فيه لقيَّه لو اتفتحت والناس خدت منها لو واحد جاي من سوهاج ماشي علي رجليه هيلحق فيها يقصد بيتي أنا .

فرد شوقي :

- انت مصدّق الكلام الفاضي ده ؟

- يا عم فاضي ايه بس ، فيه ناس فتح عليها الفتّاح

- يا بني ادم افهم مفيش لقيَّه في الأرض الزراعية ، المقابر كلها في الصحرا

- الراجل جاي دلوقتي وهتتأكد

سُمع صوت دقات خفيفة علي الباب قام فرج وفتح الباب دخل رجل يرتدي مثل أهل البلدة ، ترك لحيته لكنها صغيرة بطبيعتها

وتتخللها فراغات خالية من الشعر مما أعطاه هيبة وفرج يناديه بالشيخ عوض.

سلم الرجل علي الحضور وعرَّفه فرج عليهما وجلس وقال الشيخ عوض :

- البيت ده فيه كنز كبير ومش عايزين حد فينا يحكي لأي مخلوق الوضوع بينا احنا الأربعة بس ...إيه رأيكم ؟

نظر الثلاثة إلي بعضهم البعض وقد بدأ الإهتمام عليهم ثم أجاب شوقي :

- طبعاً يا شيخ عوض الموضوع هيبقي بينا بس

وقال فرج :

- يا شيخ عوض شوقي قال إن الفراعنة دفنوا في الصحرا مفيش مقابر في الزراعة الكلام ده صح؟

- صح طبعاً , كل المقابر في الصحرا والأرض دي علي أيامهم كانت صحرا والبحر جاب طين ورما فيها انت بتتكلم في سبع تلاف سنة

نظر فرج إلي شوقي الذي أشار إليه إشارة برأسه تدل انه اقتنع بهذا الكلام فعلاً وأضاف الشيخ عوض :

- كل لقيَّه عليها خادم من الجن والخادم ده تتحكم فيه اما بالبخور والقراية او يكون ليه طلسم تفك الطلسم يبقي الخادم ده بتاعك تأمره يطيعك وممكن يطلع لك الكنز من غير حفر.

بدأ الكلام الغريب علي هؤلاء الثلاثة يبدوا منطقيا خصوصا أن مسألة الجن والأعمال العلوية والسفلية معروفة في القرى ولها بعض الأشخاص الذين يقومون بها ويسميهم الناس مشايخ , وسأله شوقي :

- بس يا شيخ عوض الجماعة بتوع الآثار مفيش معاهم مشايخ

- انت تقدر تحفر هنا عشرة متر وممكن تمشي يمين وشمال والبلد كلها تعرف والحكومة هتعرف والأهم من ده كله البيت ده هيوقع وممكن كمان بيوت حواليه توقع انا هاطلعها بالبخور بس هنكحت شبر أو شبرين.

نظرشوقي إلي فرج وعطيه وقد اقتنعوا بكلام الشيخ عوض تماماً وقال شوقي :

- ايه المطلوب منينا

- الأرض مليانة ميه جوفية علي بعد متر واحد وهي مش ميه

- امال ايه ؟

- رَصَد يعني جن هيطلع علي أي حد يحفر اكتر من متر

- وايه العمل فيه ده؟

- فيه نوعين بخور لابد منهم

- ماشي هات البخور واشتغل

- البخور ده غالي نوع اسمه طقش مغربي والتاني اسمه مس خاطر دول هينشفوا الميه ويرفعوا اللقيَّه فوق الأرض

- احنا هنجيب البخور

- الطقش المغربي الجرام بتاعه بمية جنية ومس خاطر جرامه بخمسين

- ايه ده اغلي من الدهب؟

- ماهو ده الي بيجيب الدهب الكتير

- طب هات البخور ولما تطلع اللقيَّه خد حسابك ما دام انت متأكد انك هتطلّع

- بصوا .. انا رايح إسنا فيه حاجة هاطلعها هناك كام يوم وأجيلكم تكونوا جمعتوا فلوس البخور

- يعني انت معاك بخور دلوقتي

- ايوه

- طلّع لينا حاجة نمشي بيها نفسنا ونشتري بخور

سكت قليلاً وهم ينتظرون كلمة منه ثم قال :

- حاضر ..عايز خروف يتيم أدبحه عليها

نظر شوقي إلي فرج الذي هزَّ رأسه بإشارة تعني غير موافق وكان شوقيُ يعني ذبح الخروف الذي يملكه فرج .

وفرج رجل فقير ورث ثماني قراريط أرض فقط تركها والده باع منها ثلاثة ليأكل منها وهذا الخروف الصغير الذي ماتت أمه وهي تلده , وظل فرج يأخذ اللبن يومياً من جاموسه مهران حتي كبر الخروف وينتظر أن يبيعه نظر شوقي إلي الشيخ عوض وقال :

- الخروف موجود

أمسك فرج بيد شوقي وقال :

- افرضوا دبحنا الخروف الي حيلتي ومالقيناش حاجة ؟

فقال الشيخ عوض :

- انا هأدفع تمنه لو مفيش حاجة طلعت

وأضاف شوقي :

- يا اخي ابقي بيعه لحمه

فقال الشيخ عوض :

- مش هينفع الخروف لازم يندبح من غير ما حد يسمِّي ولا يكبّر عليه عشان الجن ده كافر , وقبل كده عايزكم تحفروا شبر في

الحته الي هاقول عليها

وقام الرجل وأغمض عينيه وأخذ يتمتم بكلمات غريبة وحدد ثلاثة أمتار مربعة وفي كل ركن وضع شيئا مرةً منديل قماش ومرةً ساعة يده ومرة علبة سجائر ووضع مجموعة مفاتيح في الأخيرة ثم قال :

- أحفروا المكان ده شبر لتحت

فقام فرج وأحضر فأساً وبدأ يحفر وشوقي وعطيه يرفعان التراب حتي تم الإنتهاء بالصورة التي يريدها الشيخ عوض .

ثم أخرج الشيخ عوض ثلاث مصاحف من حقيبته وأعطي كل منهم مصحف وقال :

- كل واحد يفتح علي سورة يس ويقرا في سره وأوعوا حد يبص علي الحاجة إلي هتطلع ...هاتوا الخروف

أحضر فرج الخروف وأحضر سكيناً وأخذهما الشيخ عوض الذي أشار عليهم ببدء قراءة سورة يس وأحضر الخروف ووضعه في منتصف الحفرة المحددة وذبحه بدون أن يذكر اسم الله عليه وأشعل البخور وبدأ يتمم بكلمات غير مفهومة وشعر شوقي وصاحباه بحرّ شديد في الغرفة وارتفع تمثالٌ ذهبي وبدأ يعلو شيئاً فشيئاً حتي لمع أمامهم بلونه الذهبي فنظر الثلاثة إليه فهبط مرة أخري وأخذ الشيخ عوض يصرخ ويعنِّفهم ولكنهم من شدة المفاجأة لم يردُّوا علي الرجل الغاضب ظلوا صامتين لدقائق إلا أن قال الشيخ عوض :

- انا مش قلت محدش يبص علي الحاجة الي هتطلع ضيعتوا منكم فرصة كانت هتخليكم في غني طول عمركم .

فقال شوقي :

- احنا هنجيبوا أي حاجة تعوزها

- عايزين بخور بعشرة الاف جنيه
- هنجيبوا الفلوس
فهمس له فرج :
- هتجيب منين يا فالح ده كله؟
- هاقولك بعدين
قام الشيخ عوض وإنصرف واتفق معهم علي المجئ بعد أسبوعين
وقال فرج بحزن:
- اديني خسرت الخروف وكمان عوض ركبنا الغلط وما دفعش تمنه
فقال عطيه :
- خروف ايه.. انت مش شفت التمثال الدهب يجي متر وهو طالع
- طب هنعملوا ايه ؟
رد شوقي:
- هنسرقوا بهايم من ناس البلد
وبدأ شوقي يشرح لهم دور كل واحد منهم بالضبط وبدأوا يحصرون المنازل التي لها حوشُ يطل علي الزراعة مباشرةً وبعد أن إنتهوا أشار فرج إلي الخروف وقال :
- عايزين نتاوا القتيل ده
وأخذ الجميع في الضحك ثم قام شوقي وعطيه وانصرفا وقام فرج وأحضر جوال خيش وضع به الخروف ووضعه علي حماره وألقاه علي جانب الترعه وعاد إلي منزله.
وفي الصباح إتجه فرج إلي فتحي أمين الجزار الذي يسكن في مدخل نجع الربايعة القريبة منهم واتفق معه علي كل التفاصيل وطلب

فتحي أن يأتوا بالبهيمة في صباح أيام أسواق الثلاثاء والخميس وطلب فرج منه أن يقوم بذبح البهيمه في حضورهم حتي يطمئنوا.

عاد فرج إلي نجع المشابك بلدته ووجد شوقي وعطيه علي القهوة فحكي لهما ما حدث ولما كان اليوم الأربعاء لذا يجب التنفيذ في هذه الليلة .

وفي الفجر ظهر ثلاث أشخاص ملثمين يجرون عجلاً كبيراً خارجين من البلدة وإتجهوا إلي نجع الربايعة ولم ينصرفوا إلا بعد ذبح العجل وتقطيعه , دفع فتحي ما يوازي نصف ثمن العجل فإعترض شوقي :

- العجل يساوي اكتر من كده

- انتوا يعني تعبتوا في العلف ؟ ما انتوا سارقينه , وخلوا بالكم انا شريك معاكم وهاروح في داهيه معاكم وليَّ نصيب اكتر منكم

- احنا معانا مصلحة وعايزين فلوس

- خلاص هاتوا بهايم تاني

ورجعوا إلي نجع المشابك وجلسوا علي القهوة فوجدوا أهل البلدة يتحدثون عن سرقة عجل فرَّاج أبو خليفة :

- دول فتحوا الحيطة وخدوا العجل ومحدش حس بحاجة

- ما دام الي حصل حصل إيه لازمة الصراخ علي الصبح ويصحوا الناس ؟

وشوقي وفرج وعطيه يستمعون فقط بدون أن يشاركوا في الحوار ليعرفوا هل شاهدهم أحد أو هل ُعرفَ إلي أين إتجه العجل لكن الواضح أن أحداً لم يري شيء واكتفيَ فرَّاج خليفة بالإعلان في المسجد أنه سوف يقرأ عدية يس يوم الجمعة وقام العمدة عبد

الستار عمدة نجع المشابك بإرسال الخفراء هنا وهناك في البلدة ليعرفوا أي شئ عن هذا الموضوع لكن أحدا لم يتوصل لأي معلومة.

وبدأوا التفكير في إعادة السرقة قبل يوم الثلاثاء القادم وهكذا تعددت السرقات حتي صار معهم الكثير من الأموال وهم في إنتظار الشيخ عوض الذي لم يظهر لمدة زادت عن الشهر وبدأ الكثير من أهل البلدة في الحديث عن أن الحاج سعد رسلان ربما عاد إلي سابق أعماله في سرقة البهائم أو أنه استأجر لصوص من خارج البلدة فمنزله لم يُسرق رغم أن حوشه يطل علي الزراعات فقرر شوقي وأصحابه سرقة الحاج سعد رسلان وبعد ذلك يتم الإكتفاء في إنتظار الشيخ عوض.

حضر الشيخ عوض وحكي انه قادم من إسنا وأنه أنهي إخراج كنز كبير هناك وجلس مع شوقي وفرج وعطيه وطلب عشرة الاف جنية ثمناً للبخور وبالطبع أعطوه ما أراد فمازالت صورة التمثال الذهبي عالقة في أذهانهم وقام فرج بعد أن شرب الجميع الشاي بتجهيز بعض قطع الفحم ليستعملها الشيخ عوض في إشعال البخور ولا مانع من تجهيز الشيشة أيضاً , هذه المرة طلب الشيخ عوض أن يكون وحده بالغرفة ومهما سمعوا من أصوات أو إهتزاز بالمنزل لا يدخل أحد الغرفة مطلقاً ودخل الغرفة وأغلق خلفه الباب. وأخذ الثلاثة يدخنون الشيشة وينتظرون الكنز القادم ولا يتحدثون ظلوا صامتين كل منهم يفكر ماذا سوف يفعل بالأموال الكثيرة , فرج يحلم لو يترك هذه البلدة ويعيش في المدينة :

- عمارة ولا اتنين أخد الإيجار وأعيش ملك لا زرع ولا طين .

وشوقي يحلم لو يشتري فداناً كاملاً خارج البلدة يبني فيه بيتاً كبيراً

علي أربعة قراريط ويترك الباقي ليزرعه حديقة ويشتري حصان :

– لأ حصانين واحد اسود وواحد .. زي ما يكون المهم يبقي معاي حصان اسود أصيل .

أما عطيه فيتمني أن يشتري أرض كثيرة ويبني دواراً كبيراً :

– ومين عارف يمكن أبقي عمدة البلد .

وجاءت رائحة البخور قوية من الغرفة وسمعوا ضرب بالعصا وصوت الشيخ عوض وكأنه يعاقب أحد :

– يا انا ...يا إنت مش هسيبك إلا لما تجيب المطلوب .

ثم سكت الشيخ عوض , وبعد فترة قصيرة فتح باب الغرفة والعرق يملأ وجهه وتبدوا عليه علامات الإرهاق الشديد وجلس بجانبهم وهم ينتظرون كلمة واحدة منه وبعد لحظات قال :

– أنا طلعت حتة صغيرة الجن ده صعب قوي

فقال شوقي بلهفة :

– وفين إلي طلعته ده ؟

– في الأوضه

فجري الثلاثة إلي الغرفة ليجدوا في الحفرة تمثالاً معدني بني اللون فرفعه شوقي وكان ساخناً بعض الشيء وخرج به حيث يجلس الشيخ عوض :

– ايه ده يا شيخ عوض ؟

– ده دهب

– ومال الدهب ده مش اصفر

– هو الدهب بتاعنا زي الدهب بتاعهم ده صافي

– عايزين نبيعوه ونشوفوا

– أستني لما أطلع حته تاني

– ما انت بتقول الجن صعب

– أيوه أنا هشتري بخور تاني بس المرة دي بعشرين ألف مرة واحدة لأن اللقية دي بتاعة كاهن وفيها مومياء وكفاية لو أخدنا الزيبق الأحمر من المومياء

– وايه الفايدة منه؟

– ده بيطِّول عمر الجن ولما يكون معاك تقدر تسيطر علي أقوي الجن وتخليه يطلع لك لقايا أو يجيب لك فلوس

فقال فرج :

– بص يا شيخ عوض احنا لا ورانا ولا قدامنا غير العشرين ألف الي انت عايزها دلوقتي فالأحسن إننا نصِّرف التمثال ده وتشتري البخور بتاعك براحتك

فرد الشيخ عوض :

– التاجر موجود وأنا لسه بايع له تلات قدرات تبر الأسبوع إلي فات وهو موجود وأسهل حاجة البيع والفلوس بعد ما تطلع الحاجة.

– تلات قدرات تبر؟ وايه ده ؟

– ايوه لقينا في إسنا لقيه فيها تلات قدرات رمل ومعهاهم محرات وعليه بقرتين لو مسكت المحرات بيدك وحركته في الرمل في الخط الصُح الرمل يبقي تبر التبر ده خام الدهب

واخذ كلام الشيخ عوض يلعب برؤسهم ويصدقون ُقدراته وأصبحت كل كلمة تخرج منه مُصدقة لديهم فقام لينصرف فدخل فرج وأحضر الأموال التي طلبها وقبل أن يعطيها له نظر إلي شوقي وعطيه وقال :

- ايه رأيكم أديه الفلوس ؟
- ايوه
أخد الشيخ عوض الأموال وجلس مرة أُخري وقال :
- الموضوع ده سر لحد ما أرجع بعد كام يوم
- طبعاً

خرج فرج وأحضر سيارة أجرة من البلدة واستقلها الشيخ عوض وعاد فرج فأعطاه شوقي التمثال وطلب منه أن يضعه في مكان أمين ثم خرجوا جميعاً وتوجه شوقي وعطيه كل إلي منزله بعد أن إتفقوا علي اللقاء في الثانية بعد منتصف الليل

● ● ● ● ● ●

جميع من بالمنزل نيام, وفي هدوء يتسحب شوقي ويخرج من البيت ويغلق الباب خلفه, وعلي طلمبة مياه خارج البيت يغسل وجهه ويمشي خارجاً من البلدة.

خارج البلدة وعلي كوبري فوق الترعة تلتقي ستة عيون لثلاث رجال ملثمين, الليل يلف البلدة إلا من بعض الأعمدة الضعيفة المنارة هنا وهناك وصوت الضفادع عند حافتي الترعة ونباح بعض الكلاب الذي يقترب تارة ويبتعد تارة أخري هما كل ما يخدش السكون من حولهم.

كانوا متفقين علي ما سوف يحدث لم يتحدوثوا ولم يقفوا كثيراً..عبروا الكوبري ومروا في داخل عصارة القصب المهجورة للحاج رسلان والتي سقطت بعض حوائطها أمام الري الزائد

للغيطان المجاورة فأصبحت ممراً إلي داخل الزراعات وفي هدؤ وحذر شديدين داروا خلف القرية ودخلوا غيطان القصب المرتفعة ، وبعد دقائق أصبحوا خلف سور الحوش الخلفي لأحد المنازل إعتلي أحدهم حائطه ونظر إلي الداخل فرأي البهائم وقد تمددت علي الأرض مستلقية وبعضها مازال يأكل شيئا يسيراً يلوكه ببطء فنزل ليشير بإشارات معينة للأخرين ، الحائط مبني من الطوب الأحمر والطين وقريب من السور توجد قناة صغيرة تنقل المياه للغيطان ، ذهب أحدهم وملأ علبة فارغة كانت معه بالمياة وناولها لآخر وبدأ ببطء يسكب المياه علي الحائط في مكان معين حدده وبدأ الثالث في إزالة الطوب وبدأ العمل وكان كل منهم قد إستلم عمله الذي تعود عليه ولا يحتاج لأي تعليق أو ملاحظة وبعد ساعتين بدأت فتحة في الحائط تهبط لأسفل وأستمر هبوطها حتي وقف العمل ، فدخل اثنان وأمسك أحدهما بعجل والآخر يحثه علي العبور من هذه الفتحة الغريبة عليه وبمجرد خروجه ألقموه كمامة من الليف حتي لا يحدث صوتاً .

إنطلق الجميع في إحدي الطرق في الزراعات ، أمتار قليلة ثم بلغوا طريقا أوسع يلتقي مع الطريق الخارج من البلدة في نقطة تبعد اكثر من كليو متر عن البلدة.

كل الأمور سارت طبيعية كغيرها من السرقات حتي أوصلوا البهيمة إلي فتحي أمين الجزار .

ولكن حدث شي في هذه السرقة بالذات لم يكن أحداً منهم يتوقعه ، كان محمود شوبكي عائداً من وحدته العسكرية ونزل من القطار في الثانية صباحاً تقريباً وبدلاً من أن ينتظر حتي

الصباح في المحطة كما إعتاد قرر أن يسير المسافة إلي بلدته وهي مسافة حوالي خمس كيلو مترات .

واثناء سيره علي الطريق حاملاً شنطة سفره وتاركاً رئتيه لهواء الطبيعة المنعش رأي شخصاً يسير بحذر وكل بضع ثواني ينظر إلي الخلف إلي ثاني يجر بهيمه وبالكاد تتضح المعالم الخارجية علي ضوء القمر .

دخل محمود إلي إحدي الطرق الفرعية الداخلة إلي الغيطان قبل أن يراه أحد وخلف نخلة أخذ يراقب الموقف وبدأ له واضحاً له أن هؤلاء هم اللصوص الذين يسرقون البهائم من أهل البلدة . وماذا يفعل وحده تكفي المراقبة لعله يتعرف إلي أحدهم وإن لم يتعرف فقد أبعد شرهم عنه هكذا قال لنفسه .

وقف الذي يسير في المقدمة أمامه مباشرة حتيُ خيل لمحمود أنه ينظر إليه فخاف لدرجة أنه وضع يده علي قلبه خوفاً من أن يسمع دقات قلبه العنيفة عاد إلي خلف النخلة بهدؤ شديد . ولمح محمود ضوءاً يأتي من مكان وقوف هذا الشخص الملثم فعاد ونظر ببطء فوجده يشعل سيجارة وقد ظهر وجهه لمحمود تماماً ..هو شوقي مهران عاد محمود إلي الإختباء خلف النخله وقد إتسعت عيناه من الدهشة و يحرك شفتيه فقط ....شوقي مهران ؟

● ● ● ● ●

في الصباح دخل شوقي المنزل ..ليجد الجميع قد جلسوا يتناولون الإفطار وبمجرد خروج السؤال التقليدي من والدته:

- كنت فين ؟
- مع أصحابي
- لحد الصبح يا ولدي ؟
- أمال أروح فين وانا مش قادر أنام؟
- وأرتفع صوت الأب وإشتدت نبرته :
- وبعين معاك يا شوقي؟ وقبل أن يكمل سمع الجميع أصواتاً عالية متداخلة تظهر منها كلمات سعد ، أمبارح.... قام شوقي مسرعاً وفتح الباب وخلفه كل من بالمنزل ينظرون فأستوقف أحد المسرعين ليسأله عن الصراخ القادم من بعيد فأجاب:
- باين بيت الحاج سعد رسلان أتسرق ليلية امبارح

فدخل الجميع بكل بساطة إلي البيت ليكملوا إفطارهم فقد كثرت السرقات وتعود الجميع علي سماع أن بيت فلان أتسرق.

كل أهل البلدة ليس لديهم حديث إلا سرقة بيت الحاج سعد .. علي القهوة ، في الغيطان ، حتي الراكبين للعربات القادمة من السوق وفي أيديهم كيس اللحمة من عجل الحاج سعد :

- وكيف يعني محدش يصحي وكل يوم والتاني فيه سرقة في البلد
- انا حاسس إن الحاج سعد إتأجر ناس يفتحوا الحيطة ويبيع هو العجل في السوق وكده محدش من الحرمية يروح يسرقة ولا حد يظن فيه في البلد

- يا عم حتي لو اتسرق صح ده باطل قديم ماهو كان ماشي في الكار ده وتاب عليه ربنا.

عصرا علي القهوة ..

مَّر محمود شوبكي علي القهوة حيث كان يجلس شوقي وفرج وعطية فنظر إليهم نظرة غريبة ووقف للحظة وهو يقول لنفسه :

- أكيد دول الاتنين التانين

نظروا إليه متوقعين منه شيئا ما ولكنه أكمل سيره بعد أن قال :

- السلام عليكم

- وعليكم السلام اتفضل يا محمود..جيت أمتي؟

وبهذا السؤال الأخير أراد شوقي أن يوقفه ليري ما به ومحمود قبل ذهابه للجيش عمل نفراً أجيراً في الزراعات مع أهل البلدة ومع مهران أيضاً

- النهاردة الفجر

وشعر محمود انه تسرع بتحديد الميعاد يكفي أن يقول النهارده كل هذا طبيعي جداً ولا يدعو للشك ، ولكن شعور محمود أنه رأي وتعرف علي شوقي وأكيد التانين هما فرج وعطيه جعله يخاف لدرجة أنه شعر أنهم روأه أيضا ولم يتصرف علي طبيعته

- جيت كيف من المحطه؟

سأله شوقي وشعر أن السؤال ليس له قيمة حتي لو رآهم فهم ملثمين ولن يتعرف عليهم ، ولكن محمود لم يرد علي السؤال وإنما تحرك منصرفاً

- السلام عليكم

فتعجبوا جميعاً ونظر كل منهم للآخر وقام شوقي ومشي خلف

محمود وعندما شعر أن الطريق خلت من المارة في مكان ما ناداه بصوت مرتفع :

- محمود

فوقف محمود ونظر خلفه ليجد شوقي فإزداد خوفه

- مالك

- مفيش ياعم شوقي

- شفت حد وانت جاي في الطرق؟

- حد مين؟

- الفجر.. عجل الحاج سعد اتسرق انت معرفتش؟

- عرفت

- اه ... شفت الحرامية ؟ مش كده؟

لم يُجب محمود شوبكي الفقير والابن لأسرة فقيرة ولا يريد أن يدخل في مشاكل وخصوصاً أنه ليس له عائلة تحميه ، ولكن زاد صوت شوقي حدة وإصراراً :

- شفتهم؟

- اه

- وما رحتش للعمدة أو شيخ الخفر أول ما وصلت البلد ليه؟ ولا انت عرفت حد فيهم؟

وأمسك شوقي بشاله وجعله يشعر أنه من الممكن أن يخنفه أو يضربه

- هتتكلم ولا لأ؟

- شفت يا عم شوقي

- فين؟

- قصاد سياله العمدة عبد الستار

وفي هذا المكان تذكر شوقي أنه فك اللثام ليشعل سيجارة فهو يدخن السجائر في السرقات فقط.

- عشان كده انت مش علي بعضك

أنزل شوقي يديه من علي كتفي محمود وقال:

- الي شفته ده كان أخر سرقة ومفيش تاني ولو عايز تتأكد أنا هاجيب المصحف وأحلف لك عليه قابلني عند الكوبري بعد المغرب وانا هاتوب علي يدك بس الموضوع بيني وبينك أوعي حد يعرف؟

- حاضر

صدّق محمود أو تمني أن يكون شوقي صادقاً حتي يخرج من هذا المأزق الذي وضع نفسه فيه

وبعد المغرب ..

ذهب محمود شوبكي إلي كوبري ترعة المقص وهو كوبري صغير ولكنه خارج البلدة وأعمدة الإنارة في هذا المكان تعمّد شوقي وأصحابه أن تظل باستمرار مطفئة , كان شوقي مختبئا بأحد الزراعات القريبة يتابع إقتراب محمود حتي وقف فوق الكوبري وأخذ القلق يدبُّ في قلبه وإنتظر شوقي حتي خلا الطريق من العائدين من الغيطان تماماً وأخذ يقترب بهدوء من محمود حتي أصبح خلفه تماماً نظر إليه محمود ودبَّ الرعب في قلبه وأمسكه من كتفه وأخرج مطواة قد فتحها منذ لحظة :

- كلمة واحدة .. طلع لسانك أقطع لسانك ولا رقبتك

- ليه يا عم شوقي بس .

وحاول محمود أن يخلّص نفسه ولم يستطع فسقط وسقط شوقي

عليه ووضع أصابعه في فمه محاولاً إخراج لسانه وعضّة محمود بأسنانه بكل قوة ولكنها لحظة واحدة فقط فقد طعنه شوقي بالمطواة في جنبه فاستسلم محمود من الألم فأمسك شوقي بلسانه وقطعه فعلاً وقام وسار إلي المنزل كأنه لم يفعل شيئا وغسل وجهه ويديه والمطواة علي طلمبة المياه الخارج باب المنزل ومسح وجهه بطرف جلبابه ثم توجه إلي داخل المنزل.

بدأ محمود يتحامل علي نفسه ووقف مائلا للأمام وخيط من الدم الغزير يتدلي من فمه يتألم ويخرج أصواتا محمومة بالألم ، تحامل علي نفسه ، يسقط مرة ويقف مرة حتي وصل إلي أول بيت بالبلدة طرقه بقوة ثم سقط ، خرج صاحب البيت مسرعاً ليفتح الباب :

- يا ساتر يا رب

ووقف في منتصف الطريق صارخاً تارة وباكياً تارة فجائه الجيران ولكن بعد فترة ، فقد إعتقد الجيران أن هناك سرقة تحدث فبدأ كل منهم يخرج بعصا أو بندقية ، وقف الجيران جميعاً وسط زعيق وجري وصراخ النساء وقد لفظ محمود أنفاسه الأخيرة وبدأ بعض فتيان البلدة يجرون هنا وهناك لشوبكي وللعمدة وتجمع عدد كبير من أهل البلدة في دقائق معدودة ، جاء العمدة وشيخ الخفر فقد كانا معا في دوار العمدة ثم بعد التأكد من الخبر طلب من شيخ الخفر أن يتصل بالمركز بسرعة ووقف أهل البلدة علي جانبي الطريق منهم الواقف والقاعد وكلهم دهشة من هذا الحدث الغريب علي بلدتهم ، وربنا يستر الأيام الي جاية.

فمنذ وفاة والد حكومة زوجة مهران لم تحدث جرائم قتل أي

منذ حوالي أكثر من خمسين سنة .

جاءت الشرطة أو الحكومة كما يسميها أهل البلدة وتم نقل الجثة إلي المشرحة وذهب أهل البلدة جميعاً علي السيارات وفي مقطورات الجرارات وظلوا حتي الصباح في المركز حتي تم التصريح بدفن الجثة واتجهوا جميعاً إلي المدافن وأنهوا الدفن ثم عادوا للبلدة ولم يتهم شوبكي أحداً فحقيقة أن محمود كان محبوباً من كل أهل البلدة الذين شهدوا في مركز الشرطة أنه كان خلوقاً ولم تحدث مشادة بينه وبين أحد طوال حياته .

وقف مهران مع أهل البلدة في هذا الموقف حتي عاد ظهراً بعد دفن محمود ليجد شوقي وحكومة وسهام وقد وُضع الغذاء وشوقي يأكل وحده فالصدمة الغريبة علي كل البلد لم تجعل أحداً له رغبة في الأكل :

- السلام عليكم

رد الجميع السلام ودخل ليغسل وجهه وبدأ علي وجهه الحزن الشديد فمحمود عمل معه في الغيطان كثيراً نظر الشيخ لتقابل عينيه الآية القرآنية (والسماء رفعها ووضع الميزان) فتنهد بحرقة قائلا

- والله الموتة دي ما ليك يا محمود

ثم استطرق قائلاً :

- استغفر الله العظيم

●●●●●●

يجلس علي الدكة في سقيفة الدار ، سمع صوت ثم طرق علي الباب :

- يا ابو شوقي
- مين ؟
- هلال يا عم
- اتفضل
- دخل هلال وسلم علي مهران الذي أشار إليه بالجلوس
- عايزين نبنوا الحيطة الي بينا وبينكم يا عم مهران يعني الواحد يعرف يعمل حوش ويربي بهايم تساعد شوية وانت شايف المعايش، وعموماً أول الحيطة واخرها باين ومفيش فرق بينا يا عم
- امتي ؟
- بكرة
- هابعت لك شوقي يوقف معاك في كحت الساس
- ماشي يا عم .. السلام عليكم

كان هذا الحائط يفصل بين حوش هلال وحوش مهران خلف بيوتهم وكل حوش له باب يفتح علي الشارع الخلفي .

بعد قليل دخل شوقي وناداه والده وجلس بجانبه علي الدكه وقال له:

- بكره الصبح انشاء الله تروح توقف مع هلال هيكحت ساس حيطة الحوش بتاعهم وما تحكيش كتير معاه أول الحيطة واخرها باين ومش مستأهلة خلاص يا شوقي ؟

ووقف الوالد فوقف شوقي :

- ماشي يابا

العداء في الصغر وعدم القابلية في الكبر هما شيئان ملازمان لعلاقة شوقي بهلال منذ أن كانا طفلين حتي أنهما لا يكلمان بعضهما فكثيراً ما كان هلال يضرب شوقي ومنذ آخر خناقة لا يذكران وقتها وهما متخاصمان .

في الصباح..

هلال والأنفار والبنَّاء , الكل ينتظر وصول شوقي ليبدأوا الحفر ثم البناء وانتظر هلال طويلاً وإرتفعت الشمس وبدأ الأنفار يضغطون علي هلال :

- فيه شغل ولا لأ انت هتضيع علينا اليومية علي الفاضي

- فيه شغل استهدوا بالله انا هأحاسبكم وخلاص

ذهب هلال إلي بيت مهران , وطرق الباب وانتظر, ثم طرق بقوة أكثر وبعد لحظات قام شوقي وفتح :

- ايه يا عم شوقي ما تخلّص

- يا فتاح يا عليم علي الصبح

دخل المنزل وغسل وجهه وقام بتغير ملابسة وقبل أن يخرج وقف للحظات ثم عاد وأخذ عصاه وخرج مع هلال الذي مازال ينتظره لكي يأخذه معه , حتي وقفا فوق مكان البناء خلف منزل مهران الذي يطل علي شارع في الخلف أيضا ومعظم منازل البلدة بها باب أمامي وباب مطل علي حوش خلفي وهلال لم يستغل حوشه أبداً منذ وفاة والده وبيع البهائم , قام الأنفار سريعاً وجهَّز كل منهم فأسة ووقف البنَّاء وجهز شريط قياس

- اضرب يا عم

- يضرب فين ، امال انت باعتلي ليه ، لازم نقيسوا
- الله .. الحيطة باينة قدامك أولها واخرها
- برضه لازم نقيسوا
- انت صاحي الساعة عشرة وأنا والأنفار والبنَّي مستنين جنابك من أول الصبح ودلوقتي جاي تقول نقيس ..ماهي العلامات باينة
- لأ ... مش باينة

وعادت المشادة الصبيانية بينهما علي موضوع تافه

- مش باينة ؟ تبقي عميت
- انت قليل أدب
- وانت عايز تضرب زي زمان

علا الصوت وخرج بعض أهل البلدة القريبين ودخل بعضهم من الباب الخلفي المفتوح لمنزل هلال وتجمعوا وكان الشيخ رضوان إمام المسجد من بين هؤلاء :

- ياولاد مش كده متصلوا علي النبي

نظر شوقي إلي هلال ، الذي بدأ بدوره يدرك ما ينوي عليه شوقي فهذه النظرات والعناد هما ما كانا منذ سنوات الطفولة وتذكر كل منهم ما كان يفعل الآخر بعد هذه النظرة فسبق هلال بالضرب وضرب شوقي بلكمة قوية في وجهه فإختل توازنه وإصطدمت رجليه بكومة من الطوب المجهز للبناء فسقط وإصطدم جسمه ببعض الطوب فتألم كثيراً وانتظر للحظات وقام بعض أهل البلدة بالتدخل وإبعادهما عن بعض وقام شوقي ودخل بيتهم دون أي كلام ودخل المنزل ليجد والدته التي كانت تنظر هي وسهام من أعلي المنزل للمشهد ولما سقط ولدها بدأت تنزل بسرعة

ودخل شوقي واخرج مسدسه ووضع فيه الطلقة وخرج مسرعاً وتدخل الشيخ رضوان ووقف أمام شوقي

- ماتوصلش لكده يا شوقي دا انتو أهل وجيران

- ومن خلف الشيخ رضوان خرج هلال فجأة وانقض علي المسدس وأمسك به وبيد شوقي ورفعه لأعلي

- خلاص يا شوقي الي انت عايزة هاعمله

ولكن الدم غلي في عروق شوقي وبدأ ينزل من شاربه علي أثر الضربة وأثناء صراعهما لم يستطع أهل البلدة التدخل بل رجعوا جميعاً للوراء منتظرين ما قد يسفر عنه هذا العراك , وظهر عبدالوهاب الأخ الأكبر لهلال واخذ يصرخ بأعلي صوته

- وقف يا شوقي

- وقف يا شوقي

وهلال يحاول أن يهدأه ويبعد المسدس عنه

- سامحني ..حقك علي..خلاص يا شوقي ابوس راسك

والمسدس بين أيديهما يعلوا ويهبط وفجأة حدث ما كان يخشاه الجميع..خرجت الطلقة وتصلب كل الواقفين منتظرين ما سوف تسفر عنه الطلقة التي أصابت أحدهما وسقط شوقي والمسدس في يده وسط ذهول هلال وصمت الجميع وحل صمت رهيب إلا من آهات شوقي التي سكت علي أثرها فأسرعت حكومة إليه وضمته بين ذراعيها تهزه للأمام والخلف لكنه فارق الحياة وعلا صوت الأم بالبكاء وأخذت ترفع من التراب وتضع فوق رأسها وهي تنظر إلي هلال الذي اصفرَّ وجهه وعلاه دهشة وخوف عظيمين :

- انت موَّت ولدي

- والله هو الي موِّت نفسه

ووقفت حكومة فأمسك بها بعض النسوة وسهام وقد سقط الشال من وجهها الذي ظهر مختلطا بالتراب والدموع وبعض آثار الدم من وجه شوقي من أثر الضربة التي تلقاها في البداية فإنفجر بركان بداخلها لن يهدأ أبدا :

- تارنا عندك يا هلال

- تارنا عندك يا هلال

خارج المشرحة..

الكثير من أهل البلدة , ومهران يجلس واضعاً رأسه بين يديه , وأهل البلدة يتعجبون من هذه الأحداث التي تحدث في بلدتهم فمنذ أقل من أسبوعين يُقتل محمود شوبكي والآن يموت شوقي مهران:

- ايه الي حصل في البلد دي

- حد قرا فينا عدة ياسين

وخرج العمدة .. ومعه الأوراق اللازمة للدفن ولكنه طلب من مهران أن يأتي معه .

- البيه رئيس المباحث عايزك

وفشلت كل محاولات رئيس المباحث لمعرفة نوايا مهران الذي لم يتهم أحداً برغم المشادة التي حدثت بين ابنه وبين هلال فإن أهل البلدة الذين حضروا الموقف أقروا بأن شوقي ضرب نفسه وعندما سقط كان المسدس في يده.

وإنصرف مهران والعمدة متوجهين إلي المشرحة وأخذوا جثة شوقي وسط إنهيار وبكاء مهران ثم توجه كل الموجودين من أهل البلدة إلي المدافن وتم دفن شوقي .

إبراهيم ابن عمدة الربايعة ، وهي قرية قريبة من قرية المشابك بلدة مهران ، من الكويت يجري إتصالاً بوالده

- الحمد لله
- انا راجع نهائي
- ايه الاحوال عندكم
- ايه..؟ ده أخو مالك وهاشم ؟
- والله مش عارف هاقولهم كيف
- انشاء الله
- الله يسلمك... مع السلامة

إبراهيم هذا كان زميل هاشم في الدبلوم ويعرف كل أهل هاشم جيداً وهو السبب في سفرهم ، وهما الآن يقيمان معه في نفس المسكن ، وقد توجه مهران إلي العمدة ربيع للإتصال بإبنه ليوصل رسالة مقتل شوق لأولاده ، فحرقة قلب مهران علي شوقي لم تنطفئ ولن تنطفئ في منزل فيه إمراة مثل حكومة .

انهي إبراهيم الإتصال وفرحة عودته للبلد نهائياً ليبدأ حياة جديدة ويتزوج قد زالت بهذا الهم الكبير الذي يحمله ولا يدري كيف سيحكيه ولكن لا مفر من ذلك ، دخل إبراهيم المسكن ليجد مالك وهاشم والإبتسامة علي وجوههما

- السلام عليكم
- وعليكم السلام ورحمة الله.. ايه مالك ؟
- مفيش

- ايه اخبار البلد ؟
- تمام والله
- والعمدة ؟
- كويس
- وقام مالك ووقف قبالة إبراهيم
- والله العظيم والعيش والملح والغربة دي لأنت قايل
- الموضوع مش كده خالص بصراحة شوقي أخوكم ...توفي
- مات؟؟
- كان فيه مشكلة مع واحد والظاهر ان شوقي كان معاه مسدس وطلعت طلقة غلط وجات فيه

قال إبراهيم كل هذا بسرعة وهو ينظر للأرض وبعد أن سكت نظر إليهما وظهر الحزن والصدمة عليهما فجلسا علي السير مرة أخري

- الشيخ مهران عايزكم تنزلوا البلد

••••••

علي الدكة في السقيفة يجلس مهران ، والوقت قبل الظهر بقليل ، وحكومة تجلس علي الأرض تبكي وتهزّ رأسها للأمام والخلف وبجانبها سهام و مهران مُدمع العينين وخلفه في المشهد الآية القرآنية)والسماء رفعها ووضع الميزان (.

صوت سيارة تقف أمام البيت ومازال محرك السيارة يعمل وما هي إلا لحظات ثم بدأ صوت السيارة في الإبتعاد ، يُسمع طرق الباب تقوم سهام وتفتح الباب وبمجرد رؤية أخويها تبكي بشدة

فيضع هاشم يده علي كتفها ويربّت عليه وتقوم الأم ببكاء وعويل شديد لتحتضن الأثنين معاً ثم ينهي مالك الموقف ويسلم علي والده وبعد أن هدأ الجميع , دفعت سهام شنطتين سفر إلي داخل المنزل وأغلقت الباب

قالت الام :

- هلال موت اخوكم

ثم قالت بصوت مرتفع وباكي :

- شوقي مات يا مالك

- شوقي مات يا هاشم

عندما وقفت السيارة أمام بيت مهران ونزل منها مالك وهاشم رأي ذلك عبد الوهاب شقيق هلال, فذهب من فوره إلي أخيه وقال له:

- بص يا مالك أولاد مهران رجعوا من السفر وخلي بالك هما ما كملوش أربع شهور

-واحنا مالنا ومالهم أخوهم ضرب نفسه بالنار قدام الناس كلها

- ما أنت كنت ماسك يده , وهما مش هيصدقوا الحكاية دي, عموما إحنا مش عارفين هما ناوين علي أيه, بس لازم نعمل حسابنا

- كيف يعني ؟

- يعني تشوف لك شقة في المركز انت وعيالك تسكن فيها ولما تبان الأمور تبقي ترجع وما تكترش في الكلام

وقام عبد الوهاب وإنصرف وهو يقول لنفسه :

- عشان كده مهران متهمش حد , عايز ياخد بالتار ولا ايه؟

وفي الصباح إتجه هلال إلي المدينة وقابل يوسف زوج ابنة عبد الوهاب وبحثا عن شقة في المنطقة بجوار مركز الشرطة ووجد

ضالته في شقة تطل فعلاً علي مركز الشرطة ودفع المال وحرر عقد الإيجار مع صاحب العمارة وعاد للبلدة ظهراً ، وظل يرتب الأشياء الضرورية ويعبئها ويجهزها للنقل ولم يخرج من بيته طوال اليوم ، وفي الليل استأجر سيارة نقل ووضع بها العفش اللازم وكل ما هو ضروري في هدؤ شديد واستقل سيارة أجرة هو وأسرته واتجه إلي السكن الجديد الذي لم يخبر أحداً بعنوانه إلا أخيه عبد الوهاب بالطبع .

مالك وهاشم منذ عودتهما والحزن والغلّ يسيطران علي قلبيهما ووكذلك الأم التي لاتدع فرصة لأحدهما أن يفكر فهي تطلب الثأر وليس أقل من ذلك وظلَّ الأخوان طوال اليوم في راحة من عناء السفر أو في التفكير فيما يجب عمله وهو ما أعطي الفرصة لهلال للهروب من البلدة بدون أن يراه أحد من بيت مهران رغم أن المنزل ملاصق للاخر و هلال لجأ لحيلة وهي إيقاف السيارتين بعيدا عن البيت .

• • • • • •

جلس مالك وهاشم مع والديهما ، وحقيقة كانت معلومة لدي الكثير من أهل البلدة أن مالك كانت يتميز بذكاء كبير ومكر يجعل والده يثق كل الثقة فيما يريد أن يفعل .

- عايزين نبيع نص فدان من غيط الساقية

قالها مالك وهوينظر لوالده

- اعمل الي انت عايزه

النفوس تغلي ولن تطفئها الأرض ولا الزرع ولا أموال الدنيا كلها

وإنما فقط الدم .. وخصوصا في وجود أم مثل حكومة وكلامها وبكائها المستمر وحثها المستمر لأولادها للأخذ بثار أخيهم وتذكرهم بأنه كان يأخذ بثأرهم من الأولاد وهم أطفال وكيف كان يحافظ عليهم ويحميهم في البلدة .

بعد العشاء حضر مختار أحد جيران غيط الساقية بعد أن أرسل له مهران وفاتحه في بيع نصف الفدان فوافق علي الفور وأبدي إستعداده لأن يعطي مهران الأموال التي يحتاجها ولا داعي لبيع الأرض فشكره مهران وإتفقا علي إنهاء البيع والتسجيل والفلوس في صباح الغد .

انصرف مختار وقبل أن يقفل هاشم الباب فإذا بفرج صاحب شوقي جاء ليسلم عليهما ويعرض خدماته

- اتفضل يا فرج

- حمد الله علي السلامة انا عايز أساعد في أي حاجة

- من قالك إننا هنعمل حاجة؟

قالها هاشم وهو يجلس بجانبه

- مش سبع زي شوقي الي يموت فطيس وأنا عارف إن أخواته رجاله والله لولا خايفكم تزعلوا لكنت انا موت هلال

وضع مهران يده علي فرج وربَّت علي كتفه وقال:

- راجل يا واد فرج

فقال مالك

- تعرف تجار سلاح

- أيوه

- بكره مع العشا تستنانا عند كوبري المقص

- ماشي انتم صحيح سمعتوا الأخبار ؟
- ايه؟
- هلال مشي من شوية هو وعياله وساب البلد
- هيروح فين يعني ؟ ما تقلقش من الموضوع ده

في اليوم الثاني كان مع مهران أربعون ألف جنيه ثمن نصف الفدان أعطاها لمالك فأعاد إليه عشرين وطلب أن تظل معه .

خرج مالك وهاشم ولقيا سيارة أجرة بالبلدة استقلاها وخرجت السيارة وعلي الكوبري كان فرج في إنتظارهما وقبل أن يركب السيارة طلب منهما أن ينزلا ليتحدث معهما فنزل مالك وهاشم فحكي لهما فرج كل ما دار مع الشيخ عوض واخرج لهما التمثال وقال :

- الاول نروح الاقصر ونشوفوا يمكن نعرفوا نبيعوه وده هيجيب فلوس كتيرة قوي

فوافق الشقيقان علي هذا الرأي واتجهت السيارة الي الاقصر وهناك وأمام بازار كبير يبيع التماثيل والتحف الفرعونية المقلدة أخذ فرج يتحدث مع صاحب البازار ثم أخرج له التمثال فقام الرجل ومد يده علي أحد الأرفف وأخرج واحداً مثله تماماً ووضعه أمام فرج ثم خرج فرج الي الشقيقين الذين كانا يراقبان الموقف من وراء الزجاج الأماي لواجهة المحل وقال :

- التمثال طلع مغشوش

فقال له مالك :

- من فين عوض ده ؟
- محدش عارف له بلد

- برضـه ده كـلام تعطوا واحـد مش عـارفـينه ولا عـارفين بلده تلاتين الف جنيه ؟

- الي حصل وكده الموضوع انتهي

- معاك حق خلينا نشوفوا الي ورانا

وركبوا جميعاً السيارة وإتجهت بهم إلي بلدة أسفل الجبل تُسمي نجع القصَّاص وهناك سأل فرج أحد المارة عن شخص معين :

- قول له فرج عبد المقصود بتاع المشابك

وخرج اليهم كيلاني الذي يعرف فرج جيداً ورحب بهم وقبل أن يتكلم أخذه فرج علي إنفراد وقال:

- تفتكر شوقي

- ايوه يا راجل فينه؟

- اتقتل

- ايه ؟

- المهم دول اخواته وعايزين سلاح وبعدين نحكوا

- حاضر

والذي جمع كيلاني بفرج وشوقي جلسات مزاج وشرب

- المطلوب ؟

- أربع حتت آلي وطبنجتين وشوية خزن وذخيرة

- قبل ما تشربوا الشاي كل حاجة تكون قدامكم

- سامحنا في الشاي إحنا مستعجلين

خرج كيلاني وعاد بعد دقائق وخلفه شخص يحمل جوالا وضعه علي الأرض وأخرج منه الأسلحة المطلوبة فهم يلفون الأسلحة ببلاستيك ويدفنونها في الرمال خوفاً من الشرطة وأخذ مالك

يقلّب في الأسلحة ويفك الواحدة تلو الأخرى حتي إقتنع بهم ودفع المال للرجل وأخذوا السلاح وقال له مالك :

- هاعوزك زخيرة كل فترة

- وانا في الخدمة

علي طرف البلدة نزل فرج وإتجه مالك وهاشم إلي بيتهم بالسيارة وأمام البيت حملا الجوال وادخلاه معا وإنصرفت السيارة وأُغلق الباب بإحكام وفتح مالك الجوال وأخرج السلاح وبدأ يشرح لهاشم فمالك قد تعلم كل شئ عن السلاح بالجيش أما هاشم فلم يذهب للجيش لوجود حساسية بصدره .

وعلي مدار أيام في البيت لم يتعجل مالك ، بدأ يعلم هاشم وسهام كيف يفكان السلاح وكيفية الصيانة والضرب والتنشين :

- ده الدبشك

- ودي السوستة

- ودي كتلة الترباس ودي غرفة الغاز

علي مدار ثلاث أيام تعلّم هاشم كل شيئ وراجع ما تعلمه أمام مالك بنفسه وكانت سهام تأتي بالأكل و بالشاي وظلت معهما تشاهد حتي أنها حفظت مثل هاشم تماماً وبعد أن أطمئن مالك لهاشم بدأ الأخوان يخرجان ليلاً إلي الغيطان ، بجانب منزل مهران سور قصير يفصل بيته وبين غيطان القصب وبدأ تعلم ضرب النار الحقيقي والنيشان وكان مالك قد إشتري عدد كبير من الطلقات الإشارية والتي عند إطلاقها بالليل تظل الطلقة في الهواء واضحة لغرض مًا ، سمع أهل البلدة صوت الطلقات وسمعها ورأها عبد الوهاب وأدرك انه كان علي حق حين أشار علي أخيه بترك

البلدة ، وإستقر الأخوان في غرفة لهم بناها الشيخ مهران أثناء زراعة البطيخ الذي تطلب إقامة دائمة وذلك منذ سنوات عند غيط الساقية، قاما ومعهما فرج بإصلاح الغرفة أصلح مالك السقف، وأتي هاشم ببعض الفرش وكانت هذه الغرفة مركز إقامتهم حتي يُتقن هاشم السلاح وفنونه تماماً، لن يتركه مالك قبلها وظلّ إطلاق النار يسمع يومياً خارج البلدة والعمدة لا يريد أن يدخل في مشاكل مع أحد والأم حكومة تسمع صوت الطلقات وتهدأ .

شعر عبد الوهاب بالقلق فلا أحد يعرف نهاية ما يحدث فبدأ بالتنبيه الشديد علي سعيد ابنه بعدم التأخير خارج البيت بعد المغرب ، وفرج ينقل لهم أدق أخبار البلدة

– بيقولوا هلال سكن في المركز فيه ناس شافوه هناك .

– كويس

وبدا مالك يفكر في حيلة يخرجه بها من جُحره

– انت كده كويس قوي يا هاشم في السلاح ؟

– اطمَّن

في هذه الأثناء لم يستطع عبد الوهاب أن يتحمل سماع إطلاق النار المستمر ولفت نظره ابنه سعيد الي شيئ هام جداً حين قال :

– يعي التار من عمي هلال بس ؟ ماهوممكن منينا إحنا

– وإحنا مالنا ، وبعدين مش مرجلة إن الواحد يقتل أي حد قدامه لكن إقتل الي قتل ده لو كان قتل أصلاً .

ولكن القلق المسيطر لابد له من نهاية ونهايته أن يترك عبدالوهاب هو وأسرته البلدة مثل هلال ، وأرسل إلي هلال الذي أخبره مع ابنه أن هناك شقة خالية أمامه مباشرة في نفس العمارة

واستأجرها سريعاً في وجود سعيد وجهّز عبد الوهاب العفش اليسير وركب السيارة هو وأسرته وركب سعيد مع سيارة الأجرة واتجهوا جميعاً للمركز.

وشاهده فرج هو وأسرته وهم خارجين من البلدة , وإتجه ناحية القهوة التي تفتح نهاراً فقط منذ سماع طلقات النار ليلاً وخوف أهل البلدة الذي جعلهم لا يخرجون إلي الأماكن المتطرفة عن البلدة من بعد المغرب وأثناء عودة فرج رأي سائق عربة الأجرة وهو من أهل البلدة فسأله:

- انت وصّلت عم عبدالوهاب فين؟

- في المركز

- مش برضة في نفس العمارة الي فيها هلال؟

- أيوه

وترك السائق وإتجه الي مالك وهاشم أبلغهما بالخبر فقال مالك

- أحسن كده , كده ممكن نمسك هلال

- كيف؟

- هلال دلوقتي علاقته بالبلد إتقطعت , وهو وعبدالوهاب مش هيطلعوا كتير من سكنهم في المركز , انا عندي فكرة هتجيبهم لحد عندنا

- ايه ؟

- بكره الصبح يا فرج تجيب عربية وفيها ميكروفون كأن فيه حد مات وهتعلن عن الدفنة وتيجي هنا علي الطريق ...فاهم ؟

- ايوه دي بسطة , امشي أنا

وانصرف فرج.

وفي صباح اليوم التالي جاء فرج بسيارة نقل مجهزة بكل ما طلب مالك.

- ايوه ..يا مالك أعمل ايه ؟

- خد الورقة دي إقرا الي فيها عند العمارة الي ساكن فيها هلال مرتين تلاتة وتمشي تروح هناك الساعة عشرة بالظبط

- ماشي دي سأهلة

ركب مالك وهاشم السيارة بعد ان أطلق مالك طلقات علي سلك التليفون فقطعه وإتجهوا الي عزبة الشريف حيث تسكن أخت هلال زوجة عبد الفتاح أبو عطا نزل أولاد مهران وتوجه فرج الي المركز وكانت الساعة العاشرة تقريباً ، أخرج الورقة وأمسك الميكروفون وقرأ أمام العمارة التي يسكن فيها هلال :

- إنا لله وأنا إليه راجعون ، توفيت الي رحمة الله تعالي زوجة الشيخ عبد الفتاح أبوعطا والمشال الساعة الحادية عشر بديوان العائلة بعزبة الشريف.

كررها مرتين وإنصرفت السيارة وكررها مرتين أثناء سير السيارة بشكل طبيعي ووصلت الرسالة قام هلال منزعجا وكان يجلس مع عبد الوهاب وقال :

- سمعت مين الي مات ؟

- مش معقول ؟ فجأة كده

- هو الموت ليه معاد؟ واحنا محدش يعرف مكاننّا

- طب نتصل الأول

- ده كلام ؟ انت مش عايز تحضر دفنة أختك ؟ الناس تقوا ايه و

عبد الفتاح وناسه يقولوا ايه؟

وقام هلال ليغير ملابسه ويذهب لعزبة الشريف , دقائق وخرج مسرعاً فأوقفه عبد الوهاب :

- ما تستني شوية

- استني ايه ؟ الساعة عشرة وربع , الأعمار بيد الله

نزل هلال مسرعاً وعبدالوهاب لا يرتاح لهذا الموضوع ولكن كل محاولات إقناع هلال فشلت , أوقف هلال سيارة وأتّفق معه علي الأُجرة وإتجه عبد الوهاب إلي السنترال ليتصل بالعمدة عبد الستار عمدة بلدتهم المشابك حيث أن عزبة الشريف تابعة له , لكن بالطبع الهاتف لم يرد.

وكما توقع مالك حضور الأخوين أو أحدهما لذا قبل مدخل عزبة الشريف بناءاً علي خطة مالك إنفصل الأخوان واختبأ كل منهم في الزراعة والمسافة بينهما حوالي خمس مائة متر , جاءت السيارة المنتظرة وكان مالك هو الأول فنظر إلي السيارة وبعد أن مرت به خرج مسرعاً علي الطريق فأطلق طلقة ففهم هاشم أن هلال قادم في هذه السيارة بالذات فخرج مسرعاً ووقف في منتصف الطريق ووجه بندقيته تجاه السائق الذي وقف فجأة :

- نهار زي الطين

- ارجع بسرعة يا اسطي

رجع السائق بسرع بالسيارة وهو يخشي أن يطلق عليه النار من الأمام فنظر فوجد شخص آخر وهو مالك ممسكاً بالبندقية وصوبها تجاه السيارة فوقف وفتح الباب وخرج :

- فيه ياه يا عمدة انا عملت ايه ؟

- مش انت الي معاك
- يا عم خدوه وسبني اروّح لعيالي وعليَّ الطلاق انا ما شفت حاجة.

في هذه اللحظة جاء هاشم يجري ووضع السلاح في وجه هلال الذي إنهار تماما وأدرك انه مقتول لا محالة وأن كل ما حدث هو خدعة .

- اطلع يا حبيبي

فتح هاشم الباب وإلتفَّ حوله مالك بسرعة ووضع السلاح في رأسه

- إرفع يديك واطلع

رفع يديه وظهر عليه الإنهيار , فتَّشه هاشم فوجد معه طبنجة ولكن الذهول لم يجعله يحدد اللحظة المناسبة لإخراجها , أخذها هاشم , وأخرج من جيبه حبلاً ثم ربط يديه من الخلف بقوة :

- ادخل العربية

ركب السيارة وركب مالك علي يمينة وركب هاشم علي يساره

- اطلع يا اسطي
- علي فين
- ارجع واحنا هنقولك

رجع السائق بالسيارة ووجهه مالك حتي وقفت السيارة أمام بيت مهران , نزل هاشم ومالك وشدّا هلال الذي نزل وأشار مالك للسائق بالإنصراف و أمسكاه من كتفيه وأدخلاه البيت وُأغلق الباب , وعندما رأته حكومة أطلقت زغرودة قوية ودخلت إلي غرفة , ضربه مالك بدبشك البندقية في ركبته فسقط علي وجهه متألما ,

مكتوف الأيدي

وقَلَبه مالك علي ظهره وجاءت حكومة بسكين ورفعتها وطعنته بها بكل قوتها :

- وانا بأولد شوقي

فصرخ هلال وأخرجتها وطعنته مرة أخري :

- وأنا شايفاه يكبر قدامي

وأخرجتها وطعنته مرة أخري :

- وانا كان نفسي اجوزه

وأخرجتها وطعنته مرة أخري :

- وأنت قتلته قبل ما يفطر ولا يبل ريقه

ومالك وهاشم وسهام ينظرون وكلام حكومة أزال كل رحمة من قلوبهم .

طعنته المرأة كثيراً حتي تناثر الدم في كل مكان وعندما تأكدت انه مات قالت :

- ارموه في الترعة زي البهيمة

●●●●●●

تأخَّر هلال , فميعاد الدفن كان الحادية عشر والآن الساعة تقترب من التاسعة مساءاً .

شعر عبد الوهاب بالقلق الشديد فأخذ معه طبنجة إشتراها منذ مقتل شوقي وإستقل سيارة واتجه إلي عزبة الشريف ولم يجد ما يدل علي أن شقيقته قد توفيت فلا دوار مفتوح ولا بوادر لعزاء , دخل منزل عبد الفتاح أبو عطا وسلَّم علي الجميع وجلس مع

شقيقته وسأل عن أخبارها وسألته عن أهله وعن هلال وطمأنها وبمجرد أن فرغ من شرب الشاي قام منصرفاً ولم يلتفت لدعوات العشاء ركب السيارة وقد أدرك أن هناك خدعة كبيرة بالموضوع

- هو مالك الكلب الي يفكر كده

دخلت السيارة التي يستقلّها الي نجع المشابك وتوجه إلي دوار العمدة عبد الستار ووجد الخفير يبدأ في إغلاق الدوار وعندما رأي السيارة قادمة وقف ممسكاً بالباب ولم يكمل إغلاقه

- العمدة صاحي

- اه.. لسه طالع ينام

- قول له عبدالوهاب عبدالعال عايزك ضروري

شعر العمدة بالقلق بمجرد سماع إسم من يريده فهو يعلم أخبار عيال عبد العال :

- وايه الي جابه البلد تاني ده؟ ربنا يستر

حضر العمدة وسلم علي عبد الوهاب وجلس :

- خير

- هلال راح يعزّي في أخته في عزبة الشريف وطلعت حكاية وفاتها كدب وما رجعش لحد دلوقتي يا عمدة

- احنا ما سمعناش بعزي في عزبة الشريف

- ما قلت لحضرتك الموضوع طلع كدب وانا جاي من عند اختي، وانا خايف يكون أولاد مهران هما الي ورا الموضوع .

- يا صبحي

- نعم يا عمدة

- روح عند من بيت مهران شوف ايه الأخبار وتعالي علي طول

- حاضر يا عمدة

ذهب الخفير ومرَّ من أمام بيت مهران ومرَّ في الشوارع القريبة وفي الشارع الخلفي لبيت مهران ولم يجد شيئا غريباً ولم يجد احد ليسأله , وعاد إلي العمدة ليخبره أنه لا يوجد شيء هناك.

فقام عبدالوهاب وإنصرف إلي شقته بالمركز , واستقبلته زوجة هلال التي كانت هي وحامد إبنها في إنتظاره لمعرفة أخبار هلال زوجها فسألها عبد الوهاب :

- ما رجعش؟

- لأ

- أنا سألت عنه في كل حته ومفيش اثر, عموماً روحوا ناموا وانشاء الله نطمَّن عليه بكره

فرد حامد :

- ننام كيف بس يا عم ؟

- طب تعالي ياحامد

ونزلا الي مركز الشرطة وطلبا تحرير محضر باختفاء هلال لكن لم يتم ذلك لعدم مرور يومين علي اختفاء هلال فتركا العنوان الجديد.

●●●●●●

في صباح اليوم التالي ذهب حسين أبو مصطفي لفتح باب الترعة الحديدي ليروي زراعته فوجد جثة هلال ملقاه علي أحد جانبي الترعة فسقط مغشياً عليه , وبعد أن أفاق أخذ يجري متجها إلي دوار العمدة.

العمدة عبد الستار يجلس مع شيخ الخفر وشيخ البلد اللذان

أرسل في طلبهما مبكراً لأنه يشعر أن هناك إحتمال مصيبة قادمة وحكي لهما ما قاله عبد الوهاب ليلة أمس

- ولا حكاية التليفون الي حد قطع السلك بتاعه وخدوا نص النهار يصلحوا فيه

كان العمدة يمسك بالشيشة حين لمح شخصاً يُقبل مسرعاً ويبدو عليه الذعر الشديد حتي سقط يلهث أمام الحضور وقال:

- هلال مقتول في الترعة يا عمدة

فالقي العمدة بالشيشة من يده وقال:

- نهاراكحل زي الطين

ودخل الي داخل الدوار واتصل بالمأمور وأخبره بوجود جثة هلال عبد العال في ترعة المقص القريبة من القرية وأخذ بعض الخفر وحسين أبومصطفي وذهبوا جميعا إلي مكان الجثة فوجدوا الكثير من أهالي البلدة توافدوا والبعض الاخر يجري هنا وهناك إلي مكان الجثة ، وصل العمدة وأمر الخفر برفع الجثة فوق الطريق لحين حضور الشرطة ، وحضر المأمور ورئيس المباحث وخلفهم سيارة أجرة بها عبد الوهاب وسعيد وحامد ، وأخذ رئيس المباحث يجمع كل من رأي شيئا:

- حسين أبو مصطفي هو أول واحد

- طب ما شحّات أبوفواز شاف الكلاب وضربهم ومشاهم وما يعرفش إيه الموضوع

هنا تدخل عبد الوهاب :

- مفيش داعي يابيه لكل ده وتبهّدل الناس ، أنا بأتهم مالك وهاشم أولاد مهران

- مين ؟ ونظر الي العمدة مين دول يا عمدة
- دول سعادتك إخوات شوقي الي مات من شهر وسعادتك قبضت علي هلال وسبته بعد كام يوم
- أيوه ... أيوه

وحكي عبد الوهاب كل ما فعله مالك وهاشم من شراء أسلحة وضرب نار في الزرع .

- انت عارف بالكلام ده يا عمده ؟
- فيه ضرب نار أيوه.. لكن مين شافهم , حد قال دول أولاد مهران , دي الناس كانت بتداري في بيوتها من المغرب .

حضر الطبيب الشرعي الذي ألق نظرة سريعة علي الجثة ثم أمر بنقلها إلي المشرحة , تحركت السيارات سريعاً , سيارات الشرطة والسيارة التي جاء فيها عبد الوهاب وبعض سيارت البلدة متجه الي المركز .

وبعد ساعتين تقريبا عاد رئيس المباحث ومعه قوة كبيرة ومعه العمدة وكل الخفر تقريباً وإتجهوا جميعاً إلي بيت مهران ودخل المنزل الذي أُحيط بحصار كبير من أفراد الشرطة وقابل مهران وحكومة وسهام فسأل عن مالك وهاشم :

- محدش منهم هنا سعادتك
- وانتم مين؟
- انا مهران أبوهم , فيه حاجة سعادتك
- انا اعرف إن إلي ياخد بالتار يبقي راجل ويعترف عشان منظره قادم الناس , وانت طبعاً عارف ان هلال اتقتل صح ؟
- صح , بس انا مش عارفهم فين ؟ ولا عارف ان كانوا هما ورا

الموضوع ده ولا لأ

– ممكن تشرف معانا؟

انصرف رئيس المباحث وأخذ معه مهران ، وقبل ان يصعد السيارة همس العمدة في اذنه :

– بلاش تاخد مهران انا عارف الي هيحصل

نظر اليه عصام بيه ولم يكلّمه وركب السيارة وقبل أن يغلق باب السيارة :

– تعالي معانا ياعمدة

– ما انا جاي هو لسّه حتي هلال إدفن؟

وجاء التصريح بالدفن بعد أن تيبن أن هلال مات أثر تعرضه لطعنات نافذة للقلب.

وإنطلق أهل البلدة إلي المدافن لدفن هلال وبعد الدفن عاد عبدالوهاب ومعه سعيد إبنه وحامد إبن أخيه هلال وجلس معهما :

– بصوا يا أولاد إحنا دلوقتي إتهمناهم وخليهم هما والحكومة ، إحنا هنرجع البلد عشان يطمّنوا إن احنا رضينا بواحد قصاد واحد ومش هنسيب تارنا ، بس تسمعوا الكلام ومحدش يتصرف من مخه ..... خلاص ؟

– خلاص يا عم

قالها حامد هلال وعيناه تذرفان الدموع .

وبعد المغرب ذهب فرج بالأخبار الي مالك وهاشم حيث كانا مختبين بين غيطان القصب في مكان محدد يعرفه فرج فقط ، وحين جاء ذكر أخذ مهران الي المركز قامت الدنيا ولم تقعد وانطلق مالك يطلق النيران ويتوعد الحكومة والعالم كله حتي أن فرج لم يتحمل ثورته وهرب يجري الي البلدة وخرج مالك وهاشم ولقيا

سلك التليفون فأطلقوا النار عليه فقُطع ولقيا سلك الكهرباء الداخل الي البلدة فأطلق مالك النار عليه فقطعه أيضاً فأظلمت البلدة التي تسمع منذ دقائق إطلاق النار وها هو الظلام حلَّ بها لتزداد رعباً فجري أهلها إلي بيوتهم وأغلقوا أبواب منازلهم والبعض الآخر ينادي بصوت عال علي أولاده وأخذت الأبواب تتغلق بقوة الواحد تلو الآخر إلا بعض ًالبيوت التي يقف أصحابها علي أبوابها ينتظرون أبناءهم ولا يجرؤ أحد علي الذهاب للبحث عنهم وبعد دقائق هدأ أولاد مهران وذهبا إلي الغرفة التي يقيمان بها وفي الصباح لم يذهب أحد من أهل البلدة إلي الغيطان وإتجه العمدة الي المركز للإستعانة بالمأمور وطلب منه أن يترك مهران وطلب المأمور رئيس المباحث وأتفق معه علي ترك مهران والقضية واضحة :

– ده تار وانتهي وخلي المحاكم تقول كلمتها وخلي كل شغلك كيف تمسك أولاد مهران

– ماشي سعادتك

عاد العمدة ومعه مهران ورئيس المباحث والمأمور وإنتشر رجال الشرطة والمخبرون في كل مكان في االبلدة ، علي القهوة التي تفتح ساعات قليلة ويدخلون في كل منزل مفتوح وأحيانا يطلبون الماء للشرب ثم يتحدثون مع أهل المنزل .

وفي هذا اليوم وسط الجيوش الموجودة بالبلدة شاهد أهل البلدة جميعا سيارتين محملتين بالعفش وخلفهما سيارتين أجرة بهما أسرة عبدالوهاب وأسرة أخيه هلال واتجهت كلها إلي منزل عبدالوهاب فبيت هلال ملاصق تماماً لبيت مهران ولا يصلح للسكن الأن هكذا قرر عبد الوهاب أن يستقبل أسرة أخيه في

بيته. وسارع المخبرون بإبلاغ المأمورالموجود في دوار العمدة بعودة عبد الوهاب وابن هلال للبلدة , وجمعت الشرطة كل ما لديها من أدلة وشواهد فعودة أهل هلال تدل علي علم الطرفين ورضاهم بالثأر وهكذا يمكن القول أن الأمور تهدأ في إتجاه حصر الإتهام في أولاد مهران الهاربين .

●●●●●●

الشرطة الان تبحث عن مالك وهاشم ولا أحد يعلم مكانهما

– في الغيطان

هذه هي إجابات الناس في البلدة والغيطان مزروعة بقصب السكر وإرتفاع القصب وجهل الشرطة بالطرق الفرعية الضيقة التي تخترق الغيطان يجعل البحث عنهم بشكل عشوائي داخل هذه الزراعات في منتهي الصعوبة والخطورة.

أصبح الأخوان مهدَّدين ولا يشعران بالأمان ولا مجال لأي خطأ فمعني حدوث خطأ هو قتل أحدهما أو كلاهما ومن بين كل الأحداث التي غيرت مجري حياتهما أصبح هاشم يائساً من الزواج من فريال ابنة عمته وحبه الأول والوحيد , فلا أحد يعلم ما سوف تؤول إليه الأحداث , وأصبح الحلم بإنشاء الدار والزواج صعباً في ظل هذه الظروف مما أعطي الفرصة لأحد أبناء عم فريال أن يتودد إلي منزل مروان هذا المنزل الهادئ البعيد عن المشاكل فأخذ يتردد علي زيارتهم محاولاً التقرب من فريال ليستطيع بعد فترة التقدم لخطبتها وهو حمدي عسر , وأخذ يشرح في كل مرة له

ببيت مروان كيف أن هاشم إنتهي مستقبله , ولم يعد يستطيع الزواج أو تكوين أسرة فقال له مروان ذات مرة :

- لسة الحكومة بتدور علي القتلة

- يا راجل ..كل البلد عارفه إنه هو ومالك ورا قتل هلال ومن حقك تحلّ نفسك من أي حاجة بخصوص أختك , وأنا بالعربي عايز أجوزها وجاهز زي ما أنت عارف.

- سيب الكلام ده لما الموضوع يبان

- لأ باين ولا إنتوا هتستنوا لما يخلِّص التأبيدة ده لو مخدش إعدام ؟ , دوِّرها في دماغك وأعمل الصالح يا مروان

كانت فريال تسمع هذا الحديث مما زاد حزنها ويأسها من الزواج من هاشم ولكنها سوف تنتظره إن شاء الله لاخر العمر , ومالك وهاشم ليس لديهما الرغبة في تسليم أنفسهما للشرطة ففرصة البراءة تبدو مستحيلة

ليلا ...

دخل أولاد مهران البلدة وذهبا إلي منزل والدهما وهما يحملان السلاح وفرج يقف علي أول البلدة ليحذرهما في حالة عودة الشرطة التي تترك البلدة ليلاً , دخلا المنزل وسلما علي والديهما وسهام وتناوبا الإستحمام وتغير الملابس ثم جلسا لتناول العشاء وليس لأحد الرغبة للتحدث أو الضحك في هذا البيت الذي تحول إلي عالم مغلق من الحزن والضيق.

وبعد تناول العشاء خرج هاشم ومعه سلاحه ليزور أولاد عمته وليري فريال النور الوحيد من بين كل هذا الظلام الدامس في حياته وقد علم من فرج ما يدورفي البلدة من أن حمدي عسر

سوف يتزوج من فريال فقد تعمد حمدي أن ينشر ذلك في البلدة حتي يفرض علي أهل فريال واقعاً سوف يجدون حرجاً من تغيره وحتي لايفكر أحد في التقدم لخطبتها.

إقترب من منزل عمته فإذا بحمدي يقترب من باب المنزل قبل هاشم قرع الباب المفتوح ودخل وهاشم بدأ يقترب من الباب ، سمع حمدي وهو يلقي السلام ويرد مروان عليه وها هو وقف أمام الباب وألقي السلام ودخل ونظر إلي حمدي وعيناه مليئتان بالغيظ والكره الشديد لهذا الوافد المنضَّم حديثاً إلي حقول الحزن والألم في حياته والذي أتي وبدأ يزرع مئات الأفدنة باليأس والهموم وقال له :

- حمدي إطلع بره عايزك

- وفي ثواني ظهرت فريال بعد أن سمعت صوت هاشم والشوق والحزن يفيضان من عينيها

- ازيك يا هاشم أقعد

فرد حمدي :

- يقعد فين ؟ واحد مطرود من البلد والحكومة بتدور عليه يقعد هنا كيف ؟

- إتلَّم يا حمدي انا لسه محطيتكش في دماغي

- والِّي ما اتلميتش هتعمل إيه ؟ انت فاكرني هلال؟

تدخل مروان :

- وبعدين معاكم الكلام ده ما ينفعش في بيتنا يا جماعة

رفع هاشم البندقية تجاه حمدي ليهدده فقط :

- إبعد ياحمدي أحسن لك والِّي في مخك مش هيحصل

جاءت وهيبة علي صوت الزعيق فرأت هاشم يصوِّب البندقية

تجاه حمدي :

- يا واد يا هاشم ايه الي إنت عامله في بيتي ده ؟ نزِّل السلاح

فقال حمدي:

- إنت خايفه من ايه يا مرات عمي ..أنا ممكن اكتفه هنا

جهَّز هاشم السلاح وضغط علي الزناد في اللحظة التي قررت وفجأة عمته أن تقف بينه وبين حمدي لكي يشعر بالحرج من أن يصوب البندقية في وجه عمته وخرجت الطلقة وقال القدر كلمته لتستقر الطلقة في قلب وهيبة فتسقط في الحال فينهار هاشم ويصرخ منادياً لعمته ورمي السلاح وقام مروان بدفع هاشم

- ارتحت ؟

وعلي صوت الطلقة خرج مالك مسرعاً ودخل بيت عمته ووراءه مهران وحكومة ليقف الجميع في ذهول وفريال تحتضن وهيبة وقد امتلأت يداها بالدم وتبكي في حرقة شديدة .

لم يطلب مالك تفسيراً لما حدث وإنما أدرك أن الموقف يزداد إشتعالاً وسوف يأتي الجيران ثم العمدة وفي ذلك خطورة كبيرة عليهما فأمسك ببندقية هاشم من الأرض ورفعها وأمسك بأخيه وجذبه خارج المنزل ودفعه أمامه ونزلا إلي داخل الزراعات وهاشم يبكي ويلعن حظه , فهذا الموقف أطفأ اخر نور في حياته وجعلها مظلمة فبدون قصد أدخل الحزن إلي قلب حبيبته .

جري مالك وهو يمسك بيد هاشم إلي داخل غيطان القصب العالي علي طريق فرعية ضيقة تكاد تظهر علي ضوء القمر وعند الساقية القديمة ترك هاشم في بكاءه وحزنة وأخذ يتحسس الطرق من خلفهما خوفا من مطاردة أحد وسمع صوت أوراق القصب

المهتزة وأخذ الصوت يقترب مسرعا وأشار إلي هاشم بإصبعه أن يسكت وحينما تأكد أن هناك من يأتي خلفهما أطلق طلقات تجاهه ولكن مرتفعه في الهواء فعاد الصوت مسرعاً إلي الخلف.

كان مصدر الصوت هو مهران الذي أراد أن يطمئن علي ولديه بعد أن تأكد أن شقيقته قد ماتت .

حضر العمدة بعد أن أجري إتصالاً سريعاً بالمأمور ورئيس المباحث وحضر معه بعض الخفراء وجاء بعده شيخ الخفر وشيخ البلدة مسرعين.

وأمام بيت مروان ...

مروان وأخويه فتحي ومصطفي خارج البيت مروان واقفاً وفتحي ومصطفي كل منهما يجلس واضعاً رأسه بين يديه ويبكي.

كان واضحاً لمروان أن هاشم لم يكن يقصد والدته وأن الموقف تصاعد فجاة وعاتب نفسه كيف لم يتدخل منذ البداية ولكن ما حدث قد حدث والأجل إنتهي.

وقف العمدة ومن جاء معه أمام بيت مروان في إنتظار الشرطة , والعمدة في دوامة أيضا فالبلدة التي كانت هادئة :

- كل يوم والتاني فيها مصيبة

والأحداث سريعة لدرجة أن المأمور بمجرد سماع صوت العمدة يتوقع مصيبة لا تقل عن القتل

- واخرتها إيه ؟ قال العمدة لنفسه

حضر المأمور ورئيس المباحث ومعه بعض الجنود , فقد أدرك المأمور أنه لا داعي لأخذ الكثير من الجنود فعقب كل مصيبة يهرب الجناة ولا أحد في البلدة لديه معلومة واحدة عن مكانهم .

طلب الطبيب الشرعي الذي أجري معاينة سريعة نقل جثمان وهيبة إلي المشرحة وذهب مهران ومروان وأخويه مع سيارتي الشرطة وجاء خلفهم العمدة وبعض أهل البلدة الذين كانوا متواجدين في الموقف, قضوا جميعاً الليلة خارج المشرحة لم ينم فيها أحد وفي الصباح تم التصريح بدفن الجثة وأخذ رئيس المباحث بشهادة مروان وأخويه وحمدي وكلها تصب في إتهام واحد:

- هاشم هو الفاعل

وإزدادت المصائب التي تحط علي رأس الشقيقين الهاربين فقتل وهيبة وإن كان خطأ جعلهما يخسران حب ومساندة أولاد عمتهم لهم .

أثناء جلوس مروان بالمنزل جاءه العمدة وقال :

- انت عارف يا مروان إن ولد خالك ماكانش يقصد عمته

- المطلوب يا عمدة

- يا ولدي حافظ علي أخواتك ولمهم حواليك الموضوع مش مقصود وسيب الحكومة تعمل الّي عايزاه معاهم

- حاضر يا عمدة

وافق كلام العمدة ما إتخذه مروان من قرار :

- موت غلط , موت صح كل واحد يروح لحاله

وهو جالس علي هذه الحال جاءه عبد الوهاب الذي بدأ يظهر في الاحداث فذهب للمشرحه مع أولاد وهيبة ووقف معهم يساندهم , جلس عبد الوهاب مع مروان وأخذ ينصحه بنفس كلام العمده وألا يعطي الموضوع أكبر من حجمه

-فالقتل الخطأ وارد لأي واحد ماشي علي الطريق أو قاعد في فرح.

وأخذ يتردد كثيراً علي بيت مروان وفي كل مرة يظهر في صورة الحكيم الهادئ الذي لا يريد مشاكل ولا يحب أن يُصاب مروان أو أحد أخوته بأقل أذي حتي إقتنع مروان بكلامه ، وأصبح يثق في كل أرائه

– وأولاد مهران كده كده أمرهم انتهي وقتل هلال ثابت عليهم

وبعد أيام ظهر الحكم في قضية مقتل هلال عبد العال وجاء الحكم غيابياً بإعدام مالك وهاشم لقتلهم هلال عمداً مع سبق الإصرار والترصد وذلك بعد شهادة سائق التاكسي الذي كان يُقل هلال وحكي كل ما حدث أمامه حتي دخول هلال منزل مهران.

وبعد أن علم أولاد مهران بهذا الحكم ضاقت الدنيا في وجههما ، ولم يعد أحد يهمهما في البلدة فكانا يدخلان البلدة علناً وفي النهار ولا يجرأ أحد من البلدة ولا حتي العمدة نفسه أن يلاقيهم ، يذهبان إلي بيت والدهم ويمكثان فيه والشوارع القريبة من بيت مهران كانت تخلو من المارة فيقوم أهل البلدة بمناداة أبناءهم وإدخالهم إلي البيوت وإغلاقها بإحكام خوفاً من حضور الشرطة وحدوث إطلاق نار .

لكن الشرطة لم تأتِ ، فلم يجرأ أحد أن يُخبر الشرطة ، ولا احد يعلم ما سوف يحدث فهذا الموقف أشبه بسكب الجاز علي القش في انتظار الإشعال وكل واحد يتمني ألا يكون بالبلدة في ذلك اليوم هو وأهله

●●●●●●

نادي الصغير..

أحد أهل البلدة الفقراء ، لا أرض ولا عيلة يعمل أجيراً عند أهل البلدة مثله مثل الكثيرين من الذين لا يملكون أرضاً أو يمتكلون قطعة صغيرة لا تكفي لمصاريف المعيشة.

وكانت لنادي علاقة طيبة بكل أهل البدة فهو يعمل أجيراً منذ أن كان صبياً ابن الأثني عشرعاماً بدأ بالأعمال البسيطة وبالأجر البسيط إلا أن كبر لهذا فهو يدخل جميع بيوت البلدة وتنكشف عليه نساءُها ولا يتضايق أحد من هذا فأخلاقه الرفيعة جعلت الجميع يثق فيه وحين يكون هناك نقل سماد بلدي من داخل الدار ويتطلب الأمر دخول الدار والخروج منها باستمرار لا أحد يصلح في البلدة للمرور وسط الحريم إلا نادي الصغير.

قابله مهران وطلب منه أن يأتي لري الأرض معه فقال :

- عندي كام يوم شغل ، وأول ما افضي هاجيلك يا عم مهران

مر أسبوع ولم ياتِ نادي وأوشكت مناوبة المياة علي الإنتهاء ، وفي أحدي المرات التي ذهب فيها مالك وهاشم الي منزل والدهما فُتح موضوع نادي الصغير

- الواد لا حس ولا خبر ، طب يكون عيان ؟

وعند خروج مالك وهاشم من البيت لقيا نادي راجعاً إلي بيته فبادره مالك قائلا :

- ازيك يا نادي ..فينك؟

- مفيش حاجة كام يوم شغل

- مع مين؟
- مع اولاد عمتك شوية شغل في البيت
- يا راجل الميه هتمشي وانت شغال في بيت؟ استاذن منهم وروح لابوي بكره
- حاضر هاشوف
- تشوف ؟ انا بقولك ترّوح يبقي تروّح واعرف صالحك

وانصرف مالك وهاشم ووقعت الجملة الأخيرة في اذنيّ نادي ثم هبطت إلي قلبه مثل جمرة النار , فمالك يقصد التهديد الواضح ومنذ صدور حكم الإعدام أصبح أولاد مهران لا يحسبان حسابا لأحد

- ولو مات واحد ولا اتنين ولا حتي مية مش هتفرق

ذهب نادي إلي بيته وهمّ الدنيا علي كتفيه فهو أخذ أجر الأسبوع كله من مروان .

أوشكت زوجته علي إنهاء إعداد العشاء ولم تكن لديه الرغبة حتي في النظر إلي الطعام , شعرت زوجته به فقالت :

- مالك ؟
- أولاد مهران قالولي أشتغل مع ابوهم وأنا شغال مع أولاد عمتهم وواخد أجرة أسبوع مقدم , وانت عارفه الي بينهم
- روح لمروان وقوله يسامحك في كام يوم وارجعله تاني هو أعقل منهم وهيوافق

كانت لهذه الفكرة من الزوجة البسيطة وقع الثلج في قلب نادي الذي يحمل جمرة مشتعلة فانطفأت الجمرة وهدأ واقترب من الطعام وبدأ يتناول العشاء.

ذهب نادي الي منزل مروان وطرق الباب وفتح له فتحي

- تفضل يا عم نادي
- الأستاذ مروان قاعد
- ايوه تعالي

دخل نادي الصغير البيت ونظر إليه مروان ليسمع ما جاء ليخبره به لكنه لم يتحدث

- مالك يا نادي ؟
- مفيش بس عندي كام يوم شغل يومين تلاته واجيلكم
- مع مين ؟

لم يرد

في هذه اللحظة دخل عبدالوهاب ألقي السلام وجلس ثم نظر مروان الي نادي ليكمل حديثه

- مع مين شغال يا نادي انت مكسوف ولا ايه؟
- بصراحه مالك ولد خالك قابلني وقالي أروح اشتغل مع ابوه وانا مقلتش اني شغال معاكم وانتوا أهل وأنا مش عايز اخش وسطيكم.
- طب ما تروحش وانا عايز اشوفه يعمل ايه؟

هنا ضغط عبد الوهاب علي يد مروان وقال:

- خلاص يا نادي قوم روِّح دلوقتي والصبح روح لمهران

قام نادي وهو يقول :

- الله يسترها معاك يا عم عبد الوهاب

بعد أن إنصرف نادي نظر مروان إلي عبد الوهاب وقال :

- ليه كده؟

وشعر عبد الوهاب أنها اللحظة المناسبة التي ينتظرها لكي يجعل مروان وأخويه يتبعون كل توجيهاته وقال:

– يعني تقول لنادي ما تروحش واشوفه هيعمل ايه؟ مالك هيمَّوت الواد الغلبان وذنبه هيبقي في رقبتك هي فارقه معاهم دلوقتي؟
– وانا هاسكت؟
– هتعمل ايه ؟ هما ناس معاهم سلاح وانت معاك ايه ..عصاية؟ كلمة منك ..كلمة منه هوه معاه البندقية في يده وانت؟
وهنا وصل لذهن مروان ما أراد عبدالوهاب بالضبط
– اه والله يا عم عبد الوهاب
– الواحد يا مروان مش لازم يستعمل السلاح بس يبقي عند الضرورة انا عن نفسي اشتريت حتتين الأسبوع الي فات
– وانا عايز بندقية شوف التاجر الي جابلك
– بكرة بعد العشا يكون هنا
وبعد أن انصرف عبد الوهاب أخبر مروان أخويه فتحي ومصطفي عن نيته في شراء بندقية وان الأمر
– شوية حرص مش أكتر.
في صباح اليوم التالي ذهب نادي لري أرض مهران وذهب سعيد ابن عبدالوهاب إلي تاجر السلاح ليخبره أن ياتي بعد العشاء ومعه كام حتة.
وحضر التاجر ومعه ثلاث بنادق ملفوفة في جوال خيش ودخل المنزل حيث كان مروان وعبدالوهاب في إنتظاره وأشار عبدالوهاب إلي سعيد فأغلق الباب خلفه جيداً , بدأ في إخراج البنادق ورصَّها واخذ يفك كل جزء ويعطيه لعبد الوهاب ويمدح في كونه جديد فالبنادق الثلاثة:
– بشحمهم وباين علي الراجل ده (يقصد مروان) طيب عشان يوقعوا معاه دول
استحسن عبد الوهاب البنادق وأخذ بندقية وأخذ مروان واحدة

أيضا وسلما التاجر ثمنهما وإنصرف .

خارج البلدة إقترب بحمارة من مالك وهاشم وكان معروفا للجميع أي نوع سلاح تريده والتوصيل عليه بكل جرأة الي بيتك

- فيه جديد معاك
- كان فيه اتنين بشحمهم (يقصد شحم الحفظ) بس اتباعو في البلد
- في البلد ؟ مين اشتراهم ؟
- عبد الوهاب عبدالعال خد واحدة وواحد اسمه مروان خد التانيه

إنصرف الرجل وترك لمالك وهاشم دهشة وحيرة فقال مالك:

- عبد الوهاب مع مروان طب ليه يا مروان؟

ورد هاشم :

- ويشتروا سلاح ليه ..الجماعة دول ناوين علي ايه؟

ولأول مرة شعر أولاد مهران أن لهم أعداء فلم يتوقع أحدهما إطلاقاً ان يطلب عبد الوهاب الثأر في أخيه الذي قتل أخيهم شوقي أوأن يطلب مروان الثأر في عمتهم التي قُتلت خطأ .

فكّر مالك قليلاً ثم جهّز البندقية وأطلق النار علي سلك التليفون الوحيد الداخل إلي دوار العمدة وسار معه هاشم يتبعه وينظر في كل الإتجاهات حتي وصلا إلي محوّل الكهرباء وأطلق مالك النار علي السلك الداخل الي البلدة وكل جدران قرية المشابك تهتزّ لإطلاق النار الكثيف الذي انقطعت بعده الكهرباء وجاء الظلام دامسا بلا رحمة.

أسرع العمدة إلي التليفون لإبلاغ المركز فلم يجده يعمل فقعد في داره ، وأسرع أهل البلدة الي بيوتهم ويجرون وينادون علي أولادهم او إخوانهم وأبواب البيوت تنغلق بقوة واحدا تلو الآخر في ظل هذا الظلام والخوف وصوت إطلاق النار الذي يشق الصمت والقلوب .

.. في الصباح جاء عمال الكهرباء لإصلاح إنقطاع الكهرباء ، وعمال السنترال لإصلاح التليفون وجاءت سيارات الشرطة تجوب البلدة مرة تلو الأخري لإشعار الأهالي بالأمان حدث كل هذا بعد أن أرسل العمدة شيخ الخفر إلي المركز لتقديم بلاغات للجهات المختلفة.

ومالك وهاشم نائمين في بيت والدهما ، لم يتوقع أحد أنهم في البلدة ، فالمتوقع أنهم هاربان داخل الغيطان ، فكر مالك هكذا وجاء صائبا تماما.

قبل المغرب ، إنصرفت سيارتا الشرطة وجميع العساكر والمخبرين وتركو البلدة للعمدة والخفر ، فصارت قرية المشابك مستسلمة للأخوين يفعلان بها ما يريدان ، وفي الليل اكتفي مالك بقطع سلك التليفون وذلك ليوصل رسالة للعمدة مفادها أن طلقة واحدة لسلك التليفون تجعله وحيداً أمامهما ولكي يعلم عبدالوهاب وكل من تسوِّل له نفسه التامر ضدهم أنهما لا يهمهما أو يخيفهما أي شي أو أي أحد مهما كان.

أنهي نادي الصغير العمل مع مهران ، وفي صباح اليوم التالي ذهب لبيت مروان للعمل في إخراج السماد البلدي للغيطان والتقي به مالك علي طرف البلدة وسأله عن العمل مع والده :

- خلصنا الشغل امبارح والشيخ مهران قالي خلاص كده .
- وانت رايح فين ؟
- هاشتغل مع الأستاذ مروان
- لأ انت تروح تكمل شغل مع ابوي والأستاذ مروان يستني
- حاضر

وافق نادي الصغير علي الفور لأنه لا يرد أن يكون السبب في

خلق أي خلاف بين أولاد مهران وأولاد عمتهم
- وتغور اليوميه .
وقبل أن يصل إلي منزل مهران قابله مروان في أثناء مروره من أمام البيت فساله :
- جاي النهاردة ؟
- هاشوف الشيخ مهران عايزني ولا لأ يعني هاجيلك النهارده او بكره انشاء الله
- ماشي يا نادي
وذهب الي منزل الشيخ مهران وطرق الباب الذي كان مفتوحاً
- السلام عليكم يا حج فيه شغل ايه النهارده؟
- يا ولدي مفيش شغل النهارده وانا قلت لك كده امبارح ..روح لقط عيشك مع أي حد
- اصل ولدك مالك قابلني وقالي انك عايزني في شغل
- لأ .. روَّح ولما هاعوزك هابعتلك
- حاضر يا حج
وقام ذاهباً للعمل مع مروان وأمام منزل مروان قابله مالك وهاشم ووقف الثلاثة أمام باب بيت مروان تماماً وقال مالك لنادي:
- اه ... جيت ليه ؟
- الحج قالي مفيش شغل النهارده
وعلا صوت مالك :
- يا كلب انت تروح تشتغل مع ابوي حتي لو مفيش شغل وهتاخد يوميتك برضه
وفي هذه اللحظة خرج مروان وشقيقه فتحي علي صوت

الزعيق, إرتعش نادي لإنفعال مالك :

- حاضر ... حاضر

وتحرك نادي تجاه بيت مهران فنادي عليه مروان فوقف نادي بينهم ورأي الموقف المشتعل فلم يتمالك نفسه إلا أن سقط علي الأرض يبكي ويقول :

- انا غلبان ومش كدكم حرام عليكم عايزين مني ايه ؟

فضربه مالك برجله في بطنه فسقط علي الأرض أمام مروان فأوقفه مروان وأمسكه وتقدم مالك فضربه علي وجهه ومروان يمسكه فقال مروان :

- انت بتضربه وانا ماسكه ..انت عايز ايه تتعارك معاي ؟

شعر فتحي أن هذا الموقف هو الضرورة التي من أجلها اشتري شقيقه مروان البندقيه وقاله :

- عند الضرورة

فأسرع الي داخل المنزل ليحضر البندقية , وأسرع هاشم لسحب مالك الذي أخذ ينظر لمروان بغضب شديد ولمح مالك دخول فتحي المنزل وخروجه بالسلاح في يده وأدرك أنه ينوي علي شئ وبمجرد رؤية البندقية في يد فتحي الذي جاء مسرعاً أطلق عليه مالك النار فسقط فتحي فصرخ هاشم فيه :

- ليه كده يا فتحي

- ليه يا فتحي

وعلي أصوات الزعيق وإطلاق النار جرت فريال وأحضرت سكيناً ولما خرجت رأت أخيها وقد سقط علي الأرض غارقاً في دمه وكان هاشم واقفاً وظهره تجاه فريال فطعنته في ظهره بكل قوتها فسقط

علي الأرض وهو ينظر إلي الخلف فرأي فريال وقد إمتلات غيظاً وكرهاً ورغبة في الإنتقام لمقتل شقيقها, فأطلق مالك النار ليمنعها من ضرب أخيه مرة أخري بالسكين, إنشغل مروان بشقيقه, ورفع مالك هاشم الذي بدأ يحاول الوقوف فوقف وتمايل معه وجاء مهران الذي كان في اللحظة بالذات قد وصل إليهما منذ خروجه بعد سماع صوت إطلاق النار, ورفع مالك البندقية وصوبها تجاه مروان تحسباً لمحاولة مروان إستعمال البندقية التي في يد فتحي وأخذ يسير ممسكاً بهاشم من كتفه ومهران يمسكه من الكتف الآخر حتي دخلا بيت مهران واستلقي هاشم علي الدكه, وأسرعت سهام بإغلاق الباب وإحكامه, وربط مالك الجرح بشاله الذي كان علي رأسه وطلب من والدته أن تفتح باب الحوش الخلفي, سارت حكومة تجاه الباب تبكي وتردد جملة واحد ة:

– يا وليدي ..اسم الله عليك يا وليدي

سار مالك ممسكاً بهاشم و مهران وحكومة يساعدانه في حمل هاشم وسارا في الشارع الخلفي وحكومة حافية ومهران ينظر إلي أهل البلدة الذين بدأوا يتوافدون لمشاهدة ما حدث .

دخلت سيارة في الشارع فأوقفها مالك شاهراً السلاح تجاه السائق فدفع هاشم في السيارة وركب وإنطلقت السيارة مسرعة خارجة من بلدة المشابك إلي مكان مجهول.

في البلدة سمع عبد الوهاب بقتل فتحي وذلك بعد أن سأل عن مصدر إطلاق النار فعرف بكل ما حدث منذ دقائق وتأكد أن مالك وهاشم تركا البلدة, فخرج عبدالوهاب ولأول مرة حاملاً سلاحه هو وابنه سعيد مسرعين إلي بيت مروان فهذا الوقت المناسب لجمع

معه من يريد قتل أولاد مهران فلم ينسي أبداً قتل أخيه هلال ورميه في الترعة برغم أن شوقي قتل نفسه.

وبعد أن وصل إلي بيت مروان وجد مروان يحمل فتحي بين يديه ويبكي فقعد عبد الوهاب تجاه مروان وأخذ البندقية من يد فتحي وناولها لمروان :

- هو ده الي لازم تعمله
- طبعا , والله ما هأسيب دمه ابدا
- وانا

لمعت عيني مروان حقداً وغيظاً وهز رأسه لأسفل موافقا لرأيه .

وكعادة الأحداث التي كثرت في قرية المشابك , جاءت الشرطة بعد إتصال العمدة بالمأمور , وتم نقل الجثة للمشرحة وجاء الطبيب الشرعي وقام بعمله وكتب تقريره الذي إنضم إلي شهادة أهل البلدة والكل يصب في إتجاه واحد وهو ثبوت إتهام مالك وهاشم.

● ● ● ● ● ●

السيارة التي إستقلها مالك وهاشم إتجهت بتوجيهات مالك للسائق إلي نجع الربايعة , وأمام دوار العمدة ربيع طلب مالك من أحد الواقفين أمام باب الدوار أن ينادي إبراهيم ابن العمدة , لحظات وجاء إبراهيم مسرعاً فنزل مالك وسلم عليه وابتعد مسافة قليلة عن السيارة وقال :

- هاشم اتعور وعايزين حتة نقعد وفيها ومفيش معانا غيرك دلوقتي
- علي راسي يا مالك انا سامع اخباركم

ركب السيارة معهما وبدأ يوجه السائق ليتجه إلي مكان معين

وأمام منزل بنايته قديمة نزل إبراهيم وذهب إلي أحد الجيران وأخذ منه مفتاح المنزل واستند هاشم علي كتف مالك حتي قام إبراهيم بفتح الباب ودخلوا جميعاً ووضعوا هاشم علي دكة بالمنزل وإنصرف إبراهيم بالسيارة وعاد بعد دقائق ومعه طبيب الوحدة الصحية وقام بدفع النقود للسائق وهدَّده في حالة لو فتح فمه وتحدث مع أي أحد

- ورقم العربية معاي ماشي ؟

- حاضر يا عمدة بس اليوم ده يعدي علي خير

انصرف السائق ورجع إبراهيم إلي المنزل ليجد الطبيب وقد دب الذعر في قلبه فقد رأي السلاح مستنداً علي الحائط وخشي أن يتورط معهم فقال :

- لازم يروح المستشفي

فنظر إليه مالك وعيناه تحملان كل تهديد :

- لأ.. انته تعمل المطلوب هنا واحنا لا شفناك ولا شفتنا..ايه رأيك؟

- حاضر

فقام وكشف علي الجرح وتأكد أن الجرح يمكن شفائه وهو موجود هنا ولكن يحتاج لأسابيع من الراحة والأكل الجيد وكما قال لنفسة وللأسف الغيار علي الجرح بإستمرار وقام بتطهير الجرح وخياطته و طلب من إبراهيم إحضار بعض الأدوية .

ومشي معه إبراهيم وخارج الباب قال له :

- بصراحة الناس دي معاها مشاكل كبيرة ومش عايزين حد يعرف الموضوع ده إنت تيجي من نفسك كل كام يوم تغير علي الجرح .. في سكات انت راجل ليك مستقبل ..ماشي؟

تنهد الطبيب ثم قال :

- ماشي يا عمده

بجوار منزل العمدة القديم ، تسكن أسرة فقيرة يترك إبراهيم معهم مفتاحه ليقوموا بتنظيفة كل فترة وهي أسرة صبري أبوضيف، صبري وزوجته وابنته سميه وابنه اسماعيل هم كل هذه الأسرة ذهب إليهم وأخبرهم أن له أصحاب سوف يقيمون بالمنزل القريب منهم لعدة أيام ، وأحضر لهم اللحم ومستلزمات تجهيز الطعام وطلب من أولاد مهران اخفاء السلاح نهائياً وأخذ إبراهيم يعطي المال لصبري أبوضيف أحيانا ، والطعام أحيانا ، ويهدده أحيانا حتي لا يعلم العمدة أن هناك أحداً بالمنزل .

بدأ هاشم يتعافي إلي حدٍ ما مع زيارات الطبيب والأكل والعلاج، وجلس أولاد مهران يتناولان الطعام، ولا يتحدثان او حتي ينظران إلي بعضهما فهما في نفس اللحظة يفكران في البلدة التي إنقلبت عليهما وأصبح دخول البلدة أو الإقامة فيها مستحيل وأسرتهم ما تزال في قلب هذا الجحيم

● ● ● ● ● ●

زاد الخصوم لأولاد مهران فهم مطلوبين الان من:

الشرطة

عبدالوهاب ومعه ابنه سعيد وحامد ابن اخيه هلال.. مروان واخيه مصطفي

وكل أهل البلدة الذين لهم قرابة أو صداقة بأولاد مهران أخذوا

في كل مجلس يعربون عن رفضهم لأفعال أولاد مهران وأن ليس لهم علاقة بهم الان.

وهما الان في ضيافة إبراهيم ربيع الذي جلس مع مالك وشرح له موقفه وموقف والده العمدة وممثل الحكومة في البلدة ووجودهما عنده سوف يسبب له مشاكل كبيرة سواء مع والده أو مع الشرطة لذلك طلب من مالك عدم الخروج من المنزل فطمأنه مالك وأخبره أنه بعد شفاء هاشم سوف يرحلان وفي هذه الأثناء لن يخرج أحدهما خارج البيت أبداً.

استمرت خدمة عائلة صبري أبوضيف للأخوين فكانت سميَّة تذهب برفقة شقيقها اسماعيل فتكنس البيت وتأتي بالملابس لغسلها وتعد لهما الطعام ، ومنذ الوهلة الأولي بدأت تُحب مالك ومع إستمرار ترددها للمنزل زاد ولعها به فبرغم جمالها الذي كثيرا ما سبب لها مضايقات من بعض شباب الربايعة إلا أن مالك لم يلتفت اليها إطلاقا برغم أنها تجاوزت الثماني عشر عاماً وأصبحت فتاة تُلفت الأنظار وفكَّرت أن هذا الرجل غامض جداً فكانت تحاول أن تُلفت نظره إليها فلاحظ مالك ذلك وسخر في نفسه من تصاريف الحياة فهذه البنت الحلوة تحلم ببناء حياة جديدة مع واحد حياته قد تنتهي في أي لحظة ولهذا لم يُشعرها بأي إهتمام فعقله المشغول والمرتبك والذي يحتاج إلي ترتيب بعد كل هذه المواقف التي جاءت بلا ترتيب ليس به مساحة ولو قليلة للتفكير في الحب والغرام حتي ولو في فتاة بمثل جمال وعقل سيمه التي ما كان يحلم بالزواج بمثلها.

جاءت سمية تحمل الطعام وشقيقها يحمل بعض الأواني أدخلت

الطعام وكان مالك جالساً علي الدكة وظهره للخلف ويدخن سيجارة وغارق في التفكير، خرج اسماعيل ليحضر باقي يالطعام إتجهت سمية الي مالك الذي شعر بأنها تريد أن تقول شيئاً جلست بجواره وقالت:

- انت ليه ساكت علي طول ؟ انت جواك ايه؟
- خلي بالك مرتاح يا بت الناس ومالكيش دعوة بإلي جواي
- احكي لي ممكن افكر معاك
- قلت لك ريحي بالك ولا تفكري معاي ولا افكر معاكي

وفي هذه اللحظة دخل شقيقها اسماعيل بباقي الطعام فقامت وجهزت العشاء وهي تنظر إلي مالك وتكاد الدموع تنهمر من عينيها.

بعد مرور أسبوع علي الإقامة في هذا المنزل شعر الأخوان بالضيق الشديد من هذا السجن الإختياري ولكن لا مفر من الصبر حتي تتضح الأمور فلا أحد يعلم بمكانهما إلا فرج فكان يأتي اليهما كل عدة أيام بالأخبار.

جاء فرج وسلم عليهما وجلس ومالك يدرك أن أي أخبار سوف تأتي من البلدة لن تكون سارة

- ايه اخبار ابوي وامي واختي اهم حاجة
- امك تعبانة شوية
- يعني ايه تعبانة
- الشيخ مهران قالي عندها حمي انشاء الله بسطية
- وايه اخبار أولاد عمتي وعبد الوهاب
- مروان واخوه وعبدالوهاب وولده وولد هلال إتجمعوا عليكم، وكل يوم يطلعوا يعملوا لكم كمين في أول البلد وبالذات بعد ما عرفوا بمرض أمكم، بس إلي هيجننهم ويجنن الحكومة إنتوا فين؟

- ابقي طمنًّا لوفيه حاجة بخصوص أمي
- طبعاً
إنصرف فرج وإستقل السيارة عائداً إلي نجع المشابك .

●●●●●●

جاء مهران بسيارة ووقفت أمام بيته وقام هو وسهام بحمل حكومة إلي داخل السيارة وإتجه إلي مستشفي الحميات بالمركز بناءاً علي توصية طبيب الوحدة الصحية ، دخلت المستشفي وتم حجزها في غرفة ورفض الطبيب دخول مهران أو سهام معها إلا بعد أخذ مصل وقائي :

- انت سكتّ عليها ليه ياحاج
- احنا قلنا شوية سخانة ويروحوا

وإستمر مهران وإبنته يذهبان كل يوم للمستشفي ويعودان في اخر اليوم ولفترة زادت عن الأسبوع ونقل فرج هذه الأخبار لأولاد مهران برغم عدم قدرتهم علي فعل شئ .

في هذه الأثناء شعر عبدالوهاب أن عائلة مهران بدأت تتصدع فالأبناء مطاردين في البلاد والأم مريضة وعلي مشارف الموت ، والأب والبنت

- يوماتي علي الله في المستشفي في المركز

اذن هذه الظروف مناسبة لبداية الإنتقام.

بدا بتهديد العمال الذين يعملون في أرض مهران وأهمهم نادي الصغير فبدأ الإهمال يظهر علي أرض مهران فهي لا تُسقي كباقي الغيطان ، ووصلت هذه الأخبار لهاشم ومالك وزادت من غليانهما

ولكن ماذا يفعلان وهاشم لم يتعافَ بعد .

وبدأ الفريق الذي يقوده عبدالوهاب في الإتفاق علي تنفيذ خطة غاية في المكر وهي إشعال النيران في أراضي مهران أثناء تواجده بالمستشفي وذلك حتي يخرج أولاد مهران من جحرهم كما قال عبدالوهاب فتواجد الشرطة في البلدة بدأ يقل فالتحريات تقول أن أولاد مهران ليسوا بالبلدة وقد يكونان بالجبل أو في بلد بعيدة ، وبدأت المجموعة التي يقودها عبدالوهاب في تنفيذ ما تم الإتفاق عليه ، جاءت السيارة أمام منزل مهران كما يحدث منذ أيام حيث يستقلها مهران وابنته ويذهبان للمستشفي للمكوث بجوار حكومة وإنصرفت السيارة بمهران وسهام خارجة من البلدة ، بعد ذلك بساعة تقريباً كان عبدالوهاب وابنه عند غيط الساقية ومروان وشقيقه مصطفي عند غيط المقص ووقف حامد ابن هلال بالبلدة تحسبا لحضور أولاد مهران ولو علي سبيل المصادفة فيقوم بتحذيرهم بعلامةُ متفق عليها بدأوا بإطلاق النار وهم في داخل الغيطان فشعر كل أهل البلدة بالذعر فمن في الشوارع جري إلي منزله وأغلقه وفتش عن باقي أهله ومن في الغيطان ترك فأسه وملابسه وجري إلي البلدة وبعد إطلاق النار الكثيف من منطقتين بعيدتين عن بعضهما غيط الساقية وغيط المقص عم الهدوء فترة ثم قام عبد الوهاب بإطلاق طلقة واحدة كانت هي الإشارة لبدأ إشعال النيران في الزراعات .

لم يجرأ أحد من أهل قرية المشابك كلها علي الخروج فقد إعتقد أهل البلدة أن أولاد مهران ربما وراء إطلاق النار أو أن إشتباكاً قد يكون حدث بين أولاد مهران واخرين ولكن هناك واحد فقط يعلم

أن أولاد مهران لا يمكن أن يكونوا وراء إطلاق النار هذا ...هو فرج

خرج فرج مسرعاً وإتجه إلي طريق فرعية مؤدية إلي مصدر الأعيرة النارية التي كانت قد وقفت تماماً الان دخل القصب ومشي تجاه غيط الساقية وإقترب بحرص شديد فشاهد سعيد ابن عبد الوهاب واقفاً بعد أن أشعل النار في الغيط وممسكاً ببندقية وعلي مسافة بعيدة ولكن ظهرت ملامح عبد الوهاب واقفاً بعد أن اشعل النار في جانب اخر من الغيط وممسكاً بسلاحه أيضا , إنسحب فرج في هدوء راجعاً إلي الخلف ورجع إلي دراه وأغلق بابه عليه .

إستمرت النيران المشتعلة في القصب وإنتقلت إلي الغيطان المجاورة ولم توقفها إلا الترعة المقص الموازية للبلدة .

أطلق عبد الوهاب ثلاث طلقات كانت هي الإشارة بالإنصراف وإتجه كلٌ إلي داره وأغلق الباب خلفه .

كانت هذه الخطوة هامة جداً لعبد الوهاب ومروان ومن معهما فهي أول خطوة حقيقية في أخذ الثأر وبداية الإنتقام الذي بدأ في الصدور وخرج أوله اليوم.

وقبل المغرب بقليل عاد الشيخ وابنته في سيارة أجرة وعندما إقتربت السيارة من البلدة وبدأت تسير موازية لترعة المقص رأي الغيطان المحترقة فطلب من السائق التوقف فنزل وأخذ يتأمل الغيطان فوجد أن غيطانة قد إحترقت وليست هي فقط بل الكثير من الغيطان وما زال بعضها يخرج منها دخان خفيف هنا وهناك من نخلة أو شجرة ضرب كفا بكف :

- ايه ده ..يا حول الله

عاد فركب السيارة ونظر إلي ابنته التي تتعجب هي أيضا من

المشهد الذي تراه ثم أمر السائق أن يُكمل طريقه .

وصلت السيارة أمام المنزل نزل مهران وابنته التي إتجهت للمنزل ودفع مهران الأجرة للسائق وإنصرف . وقف مهران ونظر إلي الشوارع التي تخلوا من المارة فلم يقابله أحد منذ دخوله البلدة حتي وصل إلي داره . لم يدخل مهران منزله بل إتجه إلي الغيطان من طريق ضيقة وأخذ يمر عليها وجدها كلها إحترقت وجيرانه الذين لم يقوموا بكسر زراعاتهم من القصب أيضا إشتعلت غيطانهم نظر إلي الغيطان بسرعة فقد تأكد أن الموضوع ليس صدفة فهو مقصود بهذا فليس من المعقول أن يكون أحدا القي سيجارة أو أن آخر أراد أن يجهز شاي أو يشعل خشباً للشيشة في هذه الغيطان البعيدة عن بعضها ثم السؤال الذي سأله لنفسه :

– فين ناس البلد ؟ محدش يطفي ؟

– دا ما فيش حد حته في الشوارع الناس راحت فين؟

اتجه إلي داره مهموماً وعلي ملابسه بعض اثار الرماد وقف في سقيفة المنزل وأخذ يفكر فهو لا يجد عمالاً يقبلون العمل معه ، وها هو الزرع مصدر رزقه الوحيد قد إحترق ويجب أن يجمعه بأسرع ما يمكن ليحصل علي القليل بدلاً من لا شئ ، وزوجته في المستشفي وقد تموت في أي لحظة وحيدة بالمركز ، وأولاده مطاردين ولا يعرف عنهم شيئا :

– والواد إلي إنضرب بسكينة عمل أيه ؟

رفع بصره فقابلته الآية المعلقة علي الحائط بكل الإجابات (والسماء رفعها ووضع الميزان)

فقال في صوت متحشرج باكياً

- استغفر الله العظيم

في صباح اليوم التالي ، كان فرج موجوداً مع مالك وهاشم وحكي لهما كل ما حدث ، ومن الذين أحرقوا غيطانهم فإنفعل هاشم جداً ووقف :

- هات البندقية يا مالك لازم نرو...

وصرخ بشدة ثم سقط من الألم فهو فلم يتعافي بعد وأمسكه مالك وفرج ووضعاه مرة أخري علي السرير.

جاء إبراهيم وسلم عليهم وتعجب من حالة هاشم :

- ايه الي حصل ما كان كويس

- معلهش يا ابراهيم عايزين الدكتور

- حاضر علي طول

عاد ابراهيم بعد ربع ساعة تقريباً ومعه طبيب الوحدة الصحية فقام بالكشف علي هاشم وقال :

- لازم يرتاح علي الاخر ، والحمد لله الجرح ما فيهوش حاجة

وفي نفس الوقت كانت حالة حكومة تزداد سوءاً وإتصل أحد الممرضيين بدوار العمدة وطلب حضور مهران في الحال وكان مهران وسهام قد استعدّا للذهاب إلي المستشفي كما يحدث كل يوم وكانت سيارة أجرة واقفة أمام منزل الشيخ مهران حين جاءه أحد الخفراء مسرعاً ليخبره بضرورة ذهابه فورا للمستشفي

- حد عارف ده يمكن حكومة ماتت

وبعد دقائق كان مهران وابنته في السيارة المتجهة إلي المركز وبدأ أهل البلدة يتناقلون خبر وفاة حكومة

- المستشفي اتصلت بالعمدة

- يعني قالوا ماتت ؟

- امال يعني هيتصلوا وهما عارفين مهران كل يوم بيروح وحده ليه؟

ووصل الكلام إلي عبد الوهاب فقد أسرع سعيد ابنه ليخبره بما سمع فأرسل سعيد إلي مروان ليخبره ببدء تنفيذ الجزء الاخر من الخطة التي إتفقوا عليها جميعاً فصعد سعيد وحامد أعلي منزل هلال المجاور لمنزل مهرا سكب بعض الجاز علي قطعة قماش وأشعلا النار فيها ثم ألقي بها سعيد علي القش أعلي منزل مهران و بعد أن تاكدا أن النيران بدأت بالإشتباك ببطء نزل هو وحامد .

بدأت النيران تظهر شيئاً فشيئاً أعلي منزل مهران ورأي بعض أهل البلدة ذلك وتحركوا بخوف تجاه المنزل ووقفوا أمامه وهم في حيرة ولم يقدر أحدهم أن يتخذ قراراً , هبطت بعض الأجزاء المشتعلة من فتحة السلم إلي الدور الأرضي لتسقط علي الفرن البلدي وأمامها القش فإشتعل المنزل من أعلاه ومن أسفله وأهل البلدة يقفون ولا يتحرك أحد إلا أن جاء الشيخ رضوان مسرعاً :

- لا حول ولا قوة الا بالله

- يا نااااااااس

- يا ناس مفيش حد في قلبة مروءة

ورمي الجبة والقفطان علي الأرض وجري إلي أحد المنازل القريبة وكان بابها مفتوحاً حيث كانت بعض النساء تتابع الحريق

- يابت هاتي جردل ولا صفيحة

جرت إحداهن إلي داخل الدار وأحضرت دلواً للشيخ رضوان الذي أمسكه وأخذ يملأه بالمياة من طلمبة المياة التي أمام دار مهران ويلقي بالماء تجاه الدار وإرتطمت المياه بالجدران وعاد

بعضها علي الشيخ رضوان فامتلأ وجهه وملابسه برزاز المياه وشعر بعض شباب البلدة بالحرج مما يفعله الشيخ فبدأوا في مساعدته أمسك أحدهم بطلمبة المياة وأحضر اخر صفيحة وبدأ العدد يزيد حتي تدخل الواقفون كلهم من أهل البلدة في إطفاء النيران فقاموا بكسر باب الدار وبدأوا في إطفاء النيران من الداخل وإستطاع أحدهم إخراج الجاموسة والشيخ رضوان يدخل ويخرج والمياه غطت كل ملابسه ووجه أصابه بعض السواد من أثر الرماد وفي النهاية تم إطفاء النيران وبدأ المنزل وقد امتلأت حوائطة بالمياه والقش المحترق الذي تغمره المياه والذي ألقاه أهل البلدة من السقف امام المنزل ، دخل الشيخ رضوان المنزل وقد غطت المياه أرضيته وظهرت بعض القطع الخشبية مجهولة المعالم يخرج منها دخان خفيف تجول بنظره فوجد كل شي إحترق وتلاقت عيناه بالاية القرانية)والسماء رفعها ووضع الميزان) فارتعش الشيخ وسقط مغشياً عليه فأسرع أهل البلده بإخراجه خارج المنزل وحاولوا إفاقته وبدأ يفيق في نفس اللحظة التي كان مهران وسهام يمسكان بحكومة التي فارقت الحياة .

قام مهران وخرج من الغرفة وهو يبكي ، وقام الشيخ رضوان بمساعدة بعض أهل البلدة .

ذهب مهران لينهي الإجراءات ويأخذ حكومة ليدفنها ، أنهي كل شئ وخرج من المستشفي وإشتري الكفن ولوازم الغُسل وطلب سيارة إسعاف من المستشفي ووضعت حكومة بمساعدة بعض الممرضين وركب مهران السيارة بجوار السائق وسهام في السيارة بجوار والدتها تبكي .

دخلت السيارة البلدة وأتي أهل البلدة علي أثرها فدخول سيارة الإسعاف نجع المشابك شئ غاية في الغرابة ولابد أن يعرف الجميع السبب.

إقتربت السيار من منزل مهران ولم يصدق ما راه المنزل محترق والمياه علي جدرانه وبقايا الحريق تأخذ أشكالاً عديدة مائلة ورأسية والقش المحترق الذي تغمره المياه المُلقي من سطح المنزل جعل المكان أمام المنزل بالكامل أسوداً ووقف السائق بعد أن وقفت توجيهات مهران له بالسير في الشوارع

- فين يا حاج

- قدام الخربان ده

نزل مهران ونظر إلي المنزل وأخذ يضرب كفاً بكف في اللحظة التي بدأ أهل البلدة يتوافدون مشياً أو جرياً وراء سيارة الإسعاف وأقبل الشيخ رضوان فنظر إليه مهران فوجد أن المياه تغطي أكمامه ونصفه الأسفل ووجه به سواد من أثر الحريق وبعض أهل القرية الذين انشغلوا مع الشيخ رضوان في متابعة النيران بالمياه حتي لا تعود للإشتعال مرة أخري كانوا ما يزالون بملابسهم التي تغمرها المياه والسواد تقدم منه الشيخ رضوان :

- قدر ولاطف يا ابو شوقي

- ليه كده بس يا رب

- استهدي بالله وما تقولش كده

- ونعم بالله ، البيت اتخرب والزرع اتحرق ، وحكومة في العربية ميتة اروح فين ورفع يديه علي عينيه واخذ يبكي وبكي معه الشيخ رضوان

وفرج واقفاً يستمع كأهل البلدة فقال :

- نغسلها في الجامع يا مولانا
- لأ .... في بيتي

ركب فرج مع السائق وسارت السيارة إلي منزل الشيخ رضوان وقامت سهام وبعض النساء بحمل حكومة إلي داخل الدار وصرخت بعض نساء الشارع وإستمر الصراخ حتي جاء الشيخ رضوان ومنعهن من الصراخ ، جاءت المُغَسِّلة وكانت تسكن قريبة من دار الشيخ رضوان ووقف الكثير من أهل البلدة أمام الدار وذهب فرج مع سيارة الإسعاف حتي كوبري ترعة المقص أول البلدة وهناك نزل وأوقف سيارة وإستقلها ، بعد نصف ساعة تقريباً خرجت المُغسِّلة وأشارت للشيخ رضوان أنها أنهت الغُسل والكفن وكل شئ فقام الشيخ رضوان ونظر لأهل البلدة الموجودين :

- يا اولاد الي مش متوضي يخش الجامع يتوضي

فأمتار قليلة تفصل الجامع عن دار الشيخ رضوان وامسك بذراع مهران ورفعه:

- وحِّد ....قوم اتوضي يا راجل
- لا اله الا الله

قام مهران ودخل المسجد وتوضأ وكان العصر قد حان فأُقيمت الصلاة وصلي الجميع العصر ثم قام الشيخ رضوان بتذكير المصلين بصلاة الجنازة وذلك لأنها لا تصلي كل يوم فقد ينسي احد كيفيتها.

وبعد صلاة الجنازة قام البعض بحمل النعش ووضعه بسيارة نقل ، وبجوارها الشيخ رضوان و مهران بالخلف ووقف الشيخ رضوان وقال للناس :

- يا اخوانا العربيات مش هتشيل وبارك الله فيكم والي هيروح يسدّ.

وتحركت أربع سيارات فقط وهي التي أمكن الحصول عليها في هذا الوقت الضيق في إتجاه المدافن , وإشتعال النار بمنزل مهران ونزوله فجأة بحكومة ميتة كل هذه الأحداث جعلت الجميع بمن فيهم مهران نفسه ينسي شيئاً هاماً للغاية وهو أن يذهب أحد إلي الفحَّار وهو الذي يقوم بفتح المقبرة وتجهيزها فتذكر الشيخ رضوان هذا بعد أن تحركت السيارات فوقفت سيارة النقل التي يركب بصندوقها الخلفي وكانت في المقدمة ونزل أحد السائقين من السيارات الأخري وجاءه فقال له :

- تروح تجيب معاك صلاح الفحَّار عشان يفتح الجبانة وأنت معاك الناس علي كده

- حاضر يا مولانا دا إحنا نسيناه خالص ده

وصلت السيارات عند المقابر ونزل الجميع في إنتظار السيارة الرابعة وصلاح الفحَّار وظهرت بعد دقائق ونزل منها وقام بتعزية مهران ثم إتجة إلي المقبرة وقال الشيخ رضوان لبعض شباب البلدة:

- إيدكم معاه يا أولاد عشان نفضُّوا

وفي هذه الأثناء وصل فرج بسيارة أُجرى إلي نجع الربايعة وبمجرد وقوف السيارة أمام المنزل وقع قلب مالك ونظر إلي هاشم ودق الباب وقام مالك وبمجرد رؤية فرج وعلي وجهه حُزن وتكشيرة أدرك أن هناك مصيبة دخل فرج البيت ولم يسّلم أويتكلم والأخوان ينظران إليه فبادره هاشم بعد أن إتكأ قليلاً :

- خير يا فرج

- البقاء لله أمكم ماتت

فسأله مالك بحزن شديد :

- امتي ؟ ومين موتها؟

- موتها ربنا يالله عشان تلحقوا الدفنة

دخل مالك غرفة وخرج حاملاً سلاحه وسلاح شقيقه وقام فرج وهاشم الذي بدأ يتعافي وركبوا جميعاً السيارة وسائق السيارة إرتعش خوفاً بمجرد رؤية الأسلحة :

- علي فين يا عمده

فرد فرج إرجع بينا وأنا هأوريك الطريق

رجع السائق وخرج من نجع الربايعة وإتجه إلي المقابر و كان مشيعوا الجنازة من أهل البلدة يقفون في إنتظار الإنتهاء من فتح المقبرة حين شاهدوا سيارة مسرعة ووقفت أمام الجمع ونزل منها مالك وهاشم يحملان أسلحتهما وظهر فرج أتياً من بعيد بعد أن نزل من السيارة علي مسافة كبيرة حتي لا يشاهده أحد.

تلقاهما مهران وأخذهما بين ذراعيه وبكي بكاءاً شديداً بكاء الحزن علي الزوجة وبكاء لقاء أولاده بعد إشتياق شديد فأراد الشيخ رضوان ان يخرجهم من هذا الموقف فاقترب منهم وسلم علي مالك الذي هبط علي يده يقبلها :

- ربنا يخليك يا مولانا

- يا ولدي شدّ حيلك

ورفع مالك عينيه ليجد الشيخ رضوان وتبدوعلي ملابسه بل وملابس معظم أهل البلدة الموجودين شئ غريب جداً فتعود أهل البلدة أن يلبس الواحد منهم ملبساً جيداً حين الذهاب إلي العزاء أو

حضور جنازة لكن الذي يراه غير ذلك فقال مخاطباً الشيخ رضوان :

- قوللي يا مولانا
- ايوه يا ولدي
- ايه الّي حصل للناس ؟

وكان يدير بصره الي أهل البلدة الموجودين ثم نظرإلي فرج ولكن مخاطباً الشيخ رضوان :

- ايه الي حصل في البلد
- مفيش يا ولدي كنا بنطفو نار ولعت ولحقناها
- ولعت فين ؟

في هذه اللحظة أشار الفحَّار بإحضار النعش فعلي صوت الموجودين :

- لا اله الا الله محمد رسول الله

فإرتاح الشيخ رضوان لعدم خوضه في تفاصيل هو نفسه يجهل أسبابها :

- مين ولع النار ؟
- وميته ولعت ؟

إتجه الجميع إلي دفن حكومة , دقائق وإنتهي الدفن وقرأ الجميع الفاتحة ونزل مهران وأولاده كعادة أهل البلدة ليكونوا في مقدمة مدخل المدافن وليسلم عليهم كل الخارجين منها ليعرفوا من جاء العزاء وأخذ مالك يدقق جيداً في وجه كل واحد ليعرفه

- شكر الله سعيك
- عظم الله أجرك

وكان الأخير فرج ضغط مالك علي كفة وإقترب من أذنه :

- ايه الي ولَّع ؟
- الجماعة ولعوا في بيتكم
وقف الشيخ رضوان مع مهران يتحدثان بصوت منخفض وأقبل مالك وهاشم:
- فيه يا عم الشيخ
- لا يا ولدي موضوع كده مع أبوك
- انا عرفت إن بيتنا إتحرق ، ورحمة أمي الي لسه مدفونة لأدفعهم الطاق طاقين
- يا ولدي ما تظلمش حد محدش شاف حد بيولع في بيتكم المهم أنا كنت باقول لأبوك يقعد عندي هو واختك اليومين دول
نظر مالك إلي والده :
- ما فيهاش حاجه يا با
- إنت نسيت بيتنا القديم
- اه والله
نظر مهران إلي الشيخ رضوان قائلا:
- ربنا يكرم أصلك يا مولانا سيبني براحتي والنبي
- عموما بيتي مفتوح لك في أي وقت
إقترب مالك من أذن والده وقال :
- قبل الفجر هاجيلك أنا وهاشم
ركب أهل البلدة السيارت وقبل أن يصعد فرج إلي السيارة ناداه مالك وأعطاه مالاً وهمس له بكلمات قليلة ثم صعد فرج السيارة وتحركوا وإستقل أولاد مهران السيارة التي جاءا بها وخرجا من المدافن.
وقفت سيارة أمام منزل الشيخ رضوان ونزل مهران وقال :

- يا مولانا قول للبتّ تيجي
- والله العظيم لا البتّ ولا إنت هتمشوا دلوقتي
- مفيش داعي للكلام ده ورانا حاجات كتيرة
- محدش هيمشي إلا لما تتعشوا

إستسلم مهران أمام الضغط الشديد للشيخ رضوان ودخل داره وتم تجهيز الطعام وأخذ الشيخ رضوان يحلف كل فترة علي مهران ليأكل وإستطاع أن يتناول القليل فلا توجد شهية لديه بعد كل ما مرَّ من مواقف ، ودخل الشيخ رضوان وأحضر الاية القرانية وسلمها لمهران الذي قال :

- ياه ، معقول يا مولانا
- ربنا حفظ كلامه وحفظ الذكري الوحيدة من شوقي
- انت لسه فاكر ، خدها من الكتاب لما حفظ جزء عامه

وقف مهران وقال :

- خلاص كده أنت قمت بالواجب وزياده
- ماشي بس ممكن تسيب الجاموسة عندي لما تجهّز البيت
- يا مولانا ما كنا عايشين فيه إحنا والجاموسة

جاءت سهام وأحضر الشيخ رضوان الجاموسة خارج الدار وخرج مهران ممسكاً بالاية القرانية بيده فأعطاها لإبنته وأمسك بالجاموسة وشكر الشيخ رضوان وإنصرف تجاه المنزل المحترق ودخله وأشعل عود ثقاب وإتجه إلي حائط كان قد وضع عليه مفتاح المنزل القديم ، وجده بسهولة وخرج من الدار فمسح المفتاح بكمه وأمسك بالجاموسة وسار داخل شارع بالبلدة.

وأمام المنزل القديم وقف مهران وفتح الباب وأنار عود ثقاب

وإتجه الي مفتاح لمبة الكهرباء وأنارها فأضاءت فقال :

- الحمد لله لسه كويسه

دخلت سهام بالجاموسة وربطتها في حوش صغير بالداخل وخرجت تنظف السقيفة فلا وقت لتنظيف المنزل بالكامل تكفي السقيفة الان فالشعور بالإرهاق الشديد منذ الصباح في المستشفي وإنتهي بالمدافن يؤجل التفكير في نظافة كل المنزل . قارب الليل علي الإنتصاف . خرج مهران وجلس علي جزع نخلة خارج المنزل . وسريعاً إنتهت سهام من تنظيف السقيفة ووجدت غطاءاً قديماً فرشته لوالدها وخرجت تنادي عليه فوجدته وقد وضع رأسه علي عصاه ونام جالساً . أيقظته ودخل الدار وتمدد علي الفرش ونام وأغلقت الباب وفي ركن في سقيفة الدار إستلقت ونامت أيضاً .

طُرق الباب عدة مرات وأخيراً سمعت سهام فقامت وخلف الباب قالت:

- مين

- فرج يا سهام

ففتحت الباب وبدأ فرج يناولها بعض الأشياء وهي تدخلها للداخل, غطاء, فرش, وابور, بعض الأواني, أكواب الشاي, سكر وشاي ودقيق , وعلبة مياة كبيرة

ثم قال لها :

- كده خلاص

أغلقت الباب وركب فرج عربة الكارو وإنصرف, وضعت الفرش الجديد وحاولت إيقاظ والدها لكنه لم يستجيب لنداءها فتركته ونامت في مكانها .

وقبل الفجر بقليل طُرق الباب وقامت سهام وسألت خلف الباب:

- مين ؟

- مالك

ففتحت ودخل مالك وهاشم ومعهما البنادق وأيقظت سهام والدها بصعوبة وإعتدل فرأي أولاده ففاق من نومه وسلم عليهما وقال:

- شوفتوا يا ولاد إلّي حصل حرقوا الغيطان كلها وبعدين البيت..مين يعمل كده ؟

فقال مالك :

- احنا عارفين مين إلي عمل كده

- ميد دول ؟

- عبد الوهاب وولده ومروان وولد هلال

- وانتوا عرفتوا من فين ؟

- فيه ناس شافوهم وهما بيحرقوا الزرع وأكيد هما إلي ورا حرق البيت

- وناوين علي ايه؟

- دلوقتي مش هنعمل حاجه الأول إحنا عايزين معانا ناس وسلاح وبعد كده هنحاسبوا كل واحد زين

إقترب الصباح فقام الأخوان وسلما علي مهران وسهام وإنصرفا مشيا تجاه نجع الربايعة .

●●●●●●

جاءت سمية بالإفطار ووضعته وجلس مالك وهاشم لتناول الطعام فهما لم يناما قلقاً وضيقاً ورغبة سريعة في الإنتقام ولكن لابد من التخطيط ، ونظرت سمية إلي مالك وقلبها يكاد ينشق من صدرها لأنه لا ينظر إليها ولا يكلمها ، إنصرفت سمية ولم تقل كلمة واحدة وقد توقعت أن يسألها مالك عن حالها وما سبب التغير الذي يظهر علي وجهها فمالك لا يري مشاعر الحب الأن ولا يستطيع أن يميزها في عيون الناس وقال لهاشم :

- احنا عايزين فلوس ، وفلوس كتير محدش هيرضي يطلع معانا ويضحي بحياته ببلاش

وقبل ان يرد هاشم دخل إبراهيم وقال :

- صباح الخير.. البقاء لله أنا لسه حاسس بالوفاة

- سبحان ربك الدايم يا عمده والنبي يا إبراهيم عايزين كراسة وقلم ولا أقولك هات كراستين تلاتة وجوابات فارغة يجي مية كده

- ايه يا مالك ده كله إنته ناوي تعمل ايه ؟

- ابعت هات دول وهأقولك علي كل حاجة

خرج إبراهيم ونادي إسماعيل الشقيق الأصغر لسمية وأعطاه مبلغ من المال ليشتري كراسات وقلم ومظاريف وعاد ليجد أولاد مهران قد إنهتوا من تناول الإفطار وبعد دقائق عاد إسماعيل ونادي إبراهيم من أمام الدار وأعطاه ما طلب وإنصرف ودخل إبراهيم وأعطي مالك الكراسات والقلم والمظاريف وقال :

– ايوه . وريني هتعملوا ايه بده كله ؟

– ممكن لو سمحت تكتب عشان أنا وهاشم نفكروا وأنت تكتب .

أمسك إبراهيم بالقلم ونظر إلي مالك منتظراً أن يكشف السر . وبدأ مالك بأسماء الأثرياء في نجع المشابك وهاشم يذكِّره ببعض الأسماء . ثم أسماء الذين قاطعوا والدهم وسال ابراهيم :

– مين دول؟

– دول ناس هنفرضوا عليهم فلوس

– ليه؟

– عشان هاشم خف خلاص وورانا مصايب في بلدنا وعايزين نشوفوها هترسي علي ايه

– طب ايه رأيكم في كام واحد هنا في الربايعة مضايقيني قوي

– إكتبهم

وأخذ أبراهيم يكتب الأسماء ويذكرها بصوت عال

– خلف صبري وعبدالرازق محروس و محمود محروس و........

وكتب إبراهيم الكثير ثم حصر القائمة فوجدها فاقت الخمسون إسماً في نجع المشابك ونجع الربايعة

– اتنين وخمسين واحد

– كويس إكتب كده

السلام عليكم

مطلوب منك عشرة الاف جنيه إذا كنت خايف علي عمرك وعمر أولادك إدفع علي طول أولاد مهران

– واكتب جواب زيه بس اكتب فيه خمس الاف . الأول للجماعة الأغنيا والتاني الي قاطعوا أبوي من الأنفار

ثم بدأ الثلاثة في كتابة الخطابات ووضعها في المظاريف وكتابة الأسماء علي المظاريف ، وفصل بلدة المشابك عن الربايعة وأخذ إبراهيم ما يخص الربايعة ، وقبل الفجر بقليل خرج إبراهيم ووضع الخطابات إما تحت باب الدار أو يلقيها من شباك المهم يتأكد أن الخطاب دخل إلي المنزل حتي إنتهي وعاد ليكمل نومه. ومجرد ذكر اسم اولاد مهران كافي لتهديد أي إنسان أيا كان .

وفي صباح اليوم التالي جاء فرج وأخذ الخطابات الخاصة بنجع المشابك وإنصرف .

وبدأ أهل الربايعة هذا البلد الهادئ البعيد عن المشاكل في القلق والتحدث عن الخطابات في حدود ضيقة فكل واحد أعتقد أن خطاباً توجه إليه هو فقط إلا عبد الرازق محروس ومحمود محروس فعندما فتح محمود موضوع الخطاب مع شقيقه أخرج له خطاباً مماثلاً فقال محمود :

- مش معقول يكونوا بعتوا لينا احنا بس أكيد فيه ناس تانيه في البلد

بدأ بعض أهل الربايعة يعرفون من أُرسل إليهم خطابات وأرسلوا في طلب بعضهم البعض وإلتقوا ليلاً في دار عبد الرازق محروس فقال أحدهم :

- أنا عن نفسي هأدفع الناس دول محدش هيوقفهم

وقال اخر :

- يا عم ده محكوم عليهم بالإعدام يعني مش فارقة معاهم تموتهم الحكومة تموتهم انت

ووقف أحد أهل البلدة وهو فاروق أبو فواز وأعلن أنه لن يدفع وأن العمدة ربيع يجب أن يتصدي لولده ولضيوفة الذين بدأوا

يضايقون الناس

– ومش كفاية إحنا ساكتين ومش مبلغين الحكومة

ثم نظر الجميع إلي عبدالرازق محروس ليقول رأيه وكانت المفاجأة :

– أنا وأخوي هندفعوا

– أُمال بعتّ لنا وعامل قعدة في بيتك ليه ما كنت دفعت من سكات إنت وأخوك ؟

– أنا بعت لكم عشان أقولكم يمكن العمدة نفسه هو إلي سلَّطهم علينا إشمعنا إحنا ؟ الموضوع كبير ولازم نعديه من غير مشاكل ده رأيّي وإنتوا أحرار .

عرف إبراهيم بكل ما دار في الإجتماع فقد إقترح عليه مالك بذكاء شديد أن يكتب اسم أحد أصدقائه ليكون مع الناس ويعرف ما سوف يحدث هل سوف يتم دفع الأموال ؟ وإن تطلب الأمر أن يقنعهم بالقبول كان هذا هو عبدالرازق محروس نفسه .

ظلّ فاروق أبو فواز مصرًّاً علي رأيه بعدم الدفع بل وتحدث مع بعض من أُرسل إليهم خطابات بضرورة التصدي وأن هذه هي البداية ويجب أن يقف الجميع مع بعض ولكنه وجد تخازلاً في مواقف الجميع . أخبرا إبراهيم أولاد مهران بأول مُعارض فقال له مالك :

– ده لازم يموت عشان محدش تاني ينطق بكلمة , وإحنا دلوقتي لا عندنا وقت ولا رحمة وإنت سمعت بإلي أتعمل في أبوي وامي وزرعنا وبيتنا

– بس معلهش في بلدنا مش عايزين دم يا ريت تهديد بس

– ماشي تهديد بس قول لنا نلاقيه فين ؟

ذهب مالك وهاشم ليلاً إلي دار فاروق أبو فواز وطرق مالك

الباب وفتح لهما وبمجرد رؤيتهما قال :

- يا مرحب منورين البلد والله

- ليه مش عايز تدفع ؟

- مين قال مش هأدفع ؟ هأدفع بس إستنوا عليَّ شهر

جهَّز مالك السلاح وأطلق طلقة في فخذه فصرخ وسقط علي الأرض وُسمعت أصوات فتح الأبواب والشبابيك للمنازل المجاورة بسرعة ونظرالناس لهذا المشهد الذي أرعبهم جميعاً وهمَّ أولاد مهران بالإنصراف ثم وقف مالك وعاد إلي فاروق :

- بكره.....سامع

فقال فاروق متألماً وممسكاً بفخذه :

- حاضر حاضر

وُسمع دويّ إطلاق النار في نجع الربايعة الهادئ وخصوصاً أن مصدر الصوت من داخل البلدة فأرسل العمدة ربيع بعض الخفر لمعرفة مصدر ضرب النار وأمرهم بالإسراع . ذهب الخفر إلي وسط البلدة ليجدوا أهل البلدة وقد ملأهم الضيق والذعر ولكن الخوف أيضا يمنعهم من المواجهة وبمجرد رؤية الخفر مسرعين تجاههم أسرع إليهم بعض جيران وأهل فاروق أبو فواز يهدِّدون ويسبُّون العمدة وابنة وتعالت الأصوات ولم يتضح منها إلا بعض الشتائم وسمع شيخ الخفر كلمة أولاد مهران واضحة وفاروق أبو فواز فأخذ شيخ الخفر أحد الجيران بعيداً عن الأصوات المتعالية الغير واضحة وسأله فحكي له ماحدث بالكامل فطلب من الخفر أن يأتوا معه وأن يذهب أحدهم لياتي بطبيب الوحدة الصحية ولكن ظهر الطبيب أمامهم يأتي مسرعاً إلي داخل بيت فاروق .

دخل منازع شيخ الخفر الي دوار العمدة ربيع الذي وجده مع بعض أولاد عمومه ولم يكن يساروه شك في شئ وقف منازع يبحث عن بداية الحديث فهو إنفعل بشدة مما رأي ولكن العمدة قال له ضاحكاً :

- ايه يا منازع حد طاهر ولده ولا ايه ؟

- لا يا عمده ...أولاد مهران ضربوا فاروق أبو فواز بالنار في فخده

فإعتدل العمدة ربيع مذعوراً :

- مين ؟؟ وإيه ألّي جابهم في بلدنا ؟واشمعنا فاروق أبو فواز؟

- أولاد مهران يا عمدة في بيتك القديم ليهم شهرين ياكلوا ويشربوا

- ومين فتح لهم البيت ؟

- ولدك إبراهيم

وقف العمدة ربيع ولم يجد كلاماً بعد هذه المفاجأة فصرخ في منازع :

- هات لي إبراهيم قوامك

خرج بعض الخفراء بحثاً عن إبراهيم وجلس منازع علي دكة مواجهة للعمدة فأخذ يسأله :

- قعدوا شهرين في البلد وإنت مش حاسس ؟

- يا عمدة كان فيهم واحد متعور ومطلعوش من البيت أبداً

وإستمر شيخ الخفر يحكي للعمدة جميع التفاصيل حتي ضرب فاروق أبو فواز بالنار.

جاء إبراهيم وسط هذا الجحيم المشتعل في دوار أبيه وعندما راه والده أخذه من يده وأدخله غرفة بالدوار وقال :

- إنت جايب أولاد مهران في البلد ؟

- هما استنجدوا بي

وزعق العمدة ربيع بكل غيظ :

- جايبهم ولا لأ؟

- اه

- انت مش عارف إنهم محكوم عليهم بالإعدام والحكومة عايزاهم وإن أبوك عمدة البلد ؟

- عارف والله بس هما قعدوا ومحدش شافهم في البلد إلا من كام يوم

- عارف لولا إن ناس البلد بيخافوا منينا كان حصل إيه؟ بعدين هاحاسبك المهم دلوقتي تغور وتخليهم ما يبيتوش الليلة في البيت

- حاضر علي طول

وخرج إبراهيم مسرعاً وإتجه إلي أولاد مهران فوجدهم جالسين علي دكة في المنزل :

- إيه إلي عملتوه ده تضربوا الراجل بالنار؟

رد مالك :

- في رجله بس

- دلوقتي انا لسه جاي من الدوار وأبوي قالي إن الحكومة خدت خبر ولازم تمشوا قوام

نظر الأخوان إلي بعضهما البعض وقد أخذا كلام إبراهيم جدياً. وقال مالك :

- ماسي هنمشوا بس الفلوس تلمَّها وهأبعت أخدها

- دي ساهلة المهم تمشوا الحكومة لو لقيتكم في بيتنا هتبقي مشكلة كبيرة لأبوي العمدة

وقد توقع مالك ما سيحدث في بلد ليست بلدتهم وليس لهم أحد يقاتل معهم إذا لزم الأمر فأرسل لفرج الذي جاء بعد ساعة تقريباً وقد ملأت أخبار ضرب فاروق أبو فواز نجع المشابك لأنه لم يدفع لأولاد مهران في الوقت الذي قام فيه فرج بإيصال الخطابات في المشابك لأصحابها وسلمها باليد مدعياً أنه مغصوب عليه ولابد أن يوزعها وإلا سيتعرض للأذي فإستطاع فرج في وقت قليل جمع أكثر من مائة الف جنية فكلما أعطي الخطاب لأحد وقد توفر معه المبلغ المطلوب طلب منه أن ينتظر ويدخل الدار ويخرج ليعطيه

- وهي مش ناقصة يحصلي زي الي حصل في الربايعة

ووصلت الأخبار إلي عبد الوهاب الذي يأس من البحث عنهم ولم يتوقع ابداً أن يظل أولاد مهران شهرين لا يخرجان من باب دار إلا لجنازة والدتهما .

جاء فرج بالسيارة وجهز أولاد مهران كل ما معهما وإستقلا السيارة وقبل أن تتحرك قال فرج لإبراهيم :

- لمّ الفلوس دلوقتي وسيبهم مع الراجل الغلبان إلي هنا
- قصدك صبري أبوضيف ؟
- أيوه وانا هأعدي أخدهم خد كد ما تقدردلوقتي
- ماشي
- علي طول دلوقتي

وخرجت السيارة من البلدة وفي السيارة نظر مالك إلي فرج وقال :

- انت ليه بتقول لإبراهيم لازم دلوقتي؟
- الحكومة مش هتسيبه الناس كلها في المشابك بيقولوا ولد العمدة ربيع كان داسسهم وأكيد الحكومة خدت خبر خليه يجمع أي

مبلغ قبل ما يتمسك

تنهد مالك وشعر أنه تسبب بأذي كبير لإنسان وقف معهم وقفة لا تنسي أبداً في أحلك الظروف سواء في الكويت أو في الربايعة .

أدرك إبراهيم حجم المصيبة التي وضع نفسه فيها وفكّر في مسألة جمع الأموال ووجدها غير صائبة الان فهذا يُعني أنه شريك مباشر في كل الأحداث.. تهديد الناس وضرب فاروق أبو فواز , وجلس أمام المنزل القديم يفكر وجاءه أكثر من عشرة أشخاص مرة واحدة ومع كل واحد عشر الاف جنيه وتوافد الناس عليه وفي أقل من ساعة جمع مبلغاً كبيراً وذهب كل أهل البلدة من حوله ووجد نفسه يفكر بأفكار لم تخطر له علي بال فقد يتم القبض عليه , صحيح أن أهل الربايعة جميعاً يخشون العمدة وعائلة الربايعة التي سكنت البلدة وتمثل معظم سكانها لكن لو أن كلمة وصلت للحكومة فستكون العاقبة سيئة له ولوالده العمده فتوصل إلي قرار سريع وخطير جداً وهو عدم إعطاء كل الأموال لأولاد مهران لابد أن يأخذ تعويض عن ما قد يحدث له دخل المنزل وقام بعدّ الأموال فوجدها فاقت الثلاث مائة ألف جنية فقال :

- هما يعني تعبوا في حاجه لما ياخدوا الفلوس دي كلها وهما ايه الي عرفهم كام واحد إداني فلوس؟

إستقر في نفسه أن يعطيهم نصف المبلغ فقط وخبأ باقي المال في المنزل ووضع النصف الاخر في قماشة ولفها جيداً وخرج متجهاً إلي بيت صبري أبوضيف ونادي عليه فخرج فأعطاه قطعة القماش بما فيها وقال :

- خلي الأمانة دي عندك لما يسأل عنها صاحبها

- حاضر

أخذها منه صبري ودخل ليضعها بالمنزل ولكنه وجد إبنته سمية تبكي بشدة فسألها فتعللت بألم مفاجئ في ضرسها ولكنها كانت تبكي حبيبها الذي ُحكم عليه بالموت فهي لأول مرة تعرف من أحبت لقد أحبت من ليس في قلبه مكان للحب وأنه سيموت لا محالة في أقرب وقت.

خرج صبري أبوضيف من الجحرة وخرج من المنزل ووجد إبراهيم يكمل إغلاق منزلهم.

●●●●●●

إتجهت السيارة بأولاد مهران إلي قرية أسفل الجبل ُتسمي نجع القصَّاص كانت معروفة بتجارة السلاح وينزل إليها ليلاً الكثير من الفارين من الشرطة أو عليهم أحكام قضائية ويعودون نهاراً لمخابئهم في الجبل وكان يتحكم في كل أمور هذه البلدة رجل قوي يسانده رجال أقوياء من أهل البلدة هوخلف الله الجرجاوي إتجهت السيارة لمنزله بعد منتصف الليل بقليل قابله مالك وعرَّفه بنفسه فعرفهم فأخبارهم تملأ معظم مراكز المحافظة جلس معه مالك وهاشم وظل فرج في الخارج مع السائق .

أحسن خلف الله إستقبالهم وأبدي إستعداده لأي مساعدة فقال له مالك :

- يا عم خلف إنت كبير الكل .. وسمعتك وسمعة رجالتك واصلة لاخر الدنيا

- انت بس تشاور علي الي عايزة واحنا معاك

- عايزين رجاله وسلاح ، أنا عايز معاي سته بعربية نقل وزيهم مع هاشم

وإتفق مالك وخلف الله علي الأجراليومي للرجال و السلاح والسيارة ودفع له أسبوع .

خرج خلف الله ونادي علي أحد رجاله وأخبره بكل التفاصيل وسمي له أسماء معينة وقال :

- وبكرة الساعة ستة الصبح تكون جاهزه

أومأ الرجل برأسه وإنصرف ودخل خلف الله المنزل وأخبر مالك بأن كل شيء تم كما أراد وخرج مالك وهاشم وأحضرا السلاح من السيارة وسلّما سلاما حاراً علي فرج وقال له مالك :

- إلي جاي موت وخراب ديار وانت ملكش دعوة بيه

- وأنا مستعد لأي حاجة وأنت عارفني

وإشتد العناق بينه وبين مالك ثم هاشم وركب السيارة وإنصرف تجاه نجع المشابك.

جاء الطعام الذي أوصي به خلف الله وأشار إلي غرفة بالطابق السفلي :

- ودي مكان نومكم

وأشار إلي مرزوق زوج إبنته وكان أحد السائقين الذين تم الإتفاق معهما علي مصاحبة أولاد مهران:

- وأنت خليك معاهم وأبقي هات الشاي

وتركهم خلف الله وصعد للطابق العلوي لينام

جلس أولاد مهران لتناول الطعام وخرج مرزوق فقال هاشم لمالك:

- ايه حكاية العربيتين ورجالة معالك ورجاله معاي

- وانا بتكلم مع خلف الله فكرت إن إحنا مش لازم نبقوا مع بعض عشان لو واحد فينا وقع يبقي التاني يقدر يعمل حاجة وكمان الناس تعمل لك حساب عشان أنا إلي مش معاك وأنا زي كده برضة

- نبعدوا عن بعض ؟ نتفارق من دلوقتي؟

- بص يا ولد أبوي علي بلاطة احنا ما قدمناش كتير ومش هنقدروا نحاربوا الحكومة والناس والبلاد المغفلقة إلي حوالينا إلي هنلموا منها فلوس أهم حاجة إن إحنا نأدبوا العالم إلي إستحكروا بأبوك

وتطلع هاشم فوجد الحقيقة التي يهرب منها جاءته صارخة وأن الأيام معدودة وسوف تعتمد علي تفكيره ويقظته فها هو مالك الذي يعتمد عليه في كل مسائل التخطيط سوف يتركة .

- كل يا هاشم

- وإنت تقعد فين وأنا فين ؟

- أنا هتحرك من هنا من عند الجماعة دول عشان أضمن إنهم معانا وفيش حد هيجي من ورانا يتفق معاهم علينا وإنت من عند الرబايعة فيه مكان كان قالي عليه إبراهيم قبل كده في الغيطان عشه ولا أوضه بتاعتهم في الزرع .

قام الأخوان وجلسا وإستقر الرأي في عقل كل منهما وثبت علي التنفيذ وجاء مرزوق بالشاي شربا الشاي وكل منهما يفكر ولا يكلم الاخر وجلس مرزوق بجوارهما يتمني أن يسمع كلمة من أحدهما فأخبار أولاد مهران تسبقهم إلي نجع القصاص , لم يتحدث أحدهما بكلمة وأنهيا الشاي وتمدد كل مهنما علي دكة بالغرفة التي حددها لهم خلف الله وبجواره سلاحه .

في الصباح إستيقظ مالك علي مناداة الرجال بعضهم لبعض :

- الواد ده لسه ما صحيش ؟
- أنا أخدت معاي أربع خِزن يكفوا ؟
- لما نشوفوا ايه طلباتهم

نظر مالك من فتحة في الشباك فوجد الرجال وقد تجهزوا بالسلاح منهم من يجهز السلاح وينظر فيه ومنهم من يعبأ خزنة سلاح ومنهم من يمسك بكوب شاي وقطعة خبز يتناول إفطاره واقفاً , عاد وأيقظ هاشم الذي بمجرد أن لمس كتفه فتح عينيه وإنتبه بسرعة إعتدل هاشم ولحظات وُسمع فتح الباب برفق ودخل مرزوق :

- صباح الخير يا جماعة كل حاجة تمام التمام بره هأجيب الفطور علي طول.

تناوبا دخول حمام قريب من الغرفة وجاء مرزوق بالإفطار وقال مالك لهاشم :

- إنت تقعد قريب من الربايعة ماتعملش حاجة إلا لما أقولك إجمع الفلوس وأنا قاعد هنا وأبقي تعالي نشوف الأمور رسيت لحد فين والبلد والناس إلي فيها سيبهم لي بس انته تروح معاي المشوار الأول ده للبلد

- ماشي

تجهز كل منهما وحمل سلاحه وزخيرته وركب كل واحد سيارته ومعه ستة رجال مسلحين لديهم الخبرة الواسعة بإستعمال السلاح وغالباً هذه هي طبيعة عملهم يستأجرهم البعض بعتادهم .

إتجه مالك بالسيارة التي في الأمام تجاه نجع المشابك وخلفه السيارة الأخري وبها هاشم ورجاله , قاربت الساعة السابعة صباحا وخلت الطريق إلا من بعض التلاميذ المتجهين إلي مدارسهم

وبعض المتجهين للغيطان دخلت السيارتان إلي مدخل نجع المشابك وإتجهت إلي منزل عبد الوهاب ونزل مالك وحرَّك بيده الباب فوجده مغلقاً فسمع عبدالوهاب صوت حركة الباب الحديدي وقبله صوت السيارتين أمام منزله فإنتظر ولم يصدر أي رد فعل ولم ينتظر مالك كثيراً أمر الرجال بالنزول وبدأوا جميعاً في إطلاق النار تجاه منزل عبد الوهاب الذي سقط علي الأرض مختبأ هو وكل من بالمنزل وكان واثقاً أن الباب الحديدي سوف يصمد حيث كان إطلاق النار في كل شبر من الحوائط والشبابيك وإهتز نجع المشابك إهتزازاً عنيفاً خلع قلوب أهله وإرتعشت منازله القديمة حتي سقطت قشرات جيرية رقيقة من الأسقف وشعر البعض أن القيامة قد قامت ولا وقت حتي للوضوء . إستمرت الطلقات الكثيفة وما إن تنتهي زخيرة أحدهم حتي يضع خزنة أخري مليئة بالزخيرة فتتواصل الطلقات بشكل لا ينتهي لأكثر من ثلث ساعة مرت علي نجع المشابك حتي شعر كل من يسكن قريب من منزل عبدالوهاب أنه أكيد أصابته طلقة

- والدم حامي ومش حاسس

ثم وقف ضرب النار ورائحة البارود وصلت إلي دوارالعمدة عبد الستار الذي يبعد أكثر من كيلو مترعن منزل عبد الوهاب فأسرع عبد الوهاب وأمسك سلاحه هو وابنه سعيد إستعداداً لتطور الأحداث ودخول أولاد مهران منزله لكن مالك لم يكن يريد كسر الباب ودخول المنزل . كانت الرسالة قوية جداً لعبدالوهاب ولمن معه ويدرك مالك أن عبدالوهاب هو المخطط لكل المصائب التي مرَّ بها والده هو الذي حرق زرعه ومنزله وجعل والدته لا تُغسل في

منزلهم . أشار إلي الرجال وركبوا السيارتين وخرجوا من البلدة .

خارج البلدة وقفت السيارتان ونزل أولاد مهران وودَّع كل منهم الآخر وداعا حاراً ثم ركب كل منهم سيارة . إتجه مالك إلي نجع القصَّاص وإتجه هاشم إلي نجع الربايعة ودخلت السيارة وبها هاشم ورجاله المسلحين الي داخل البلدة فوقف أهل الربايعة في خوف شديد ينظرون إليه ويتبادلون توقعاتهم عن ما قد يحدث اليوم:

– ومنين جاب الناس إلي معاه ؟

– وفين أخوه.. هو ده الأهم ؟

– ممكن يطلبوا فلوس من الناس تاني

– أنا عن نفسي هأروِّح وألم عيالي وأقفل الباب لحد ما نشوفوا إلي هيحصل

إتجهت السيارة إلي منزل صبري أبو ضيف نزل هاشم وطرق الباب فخرج له الرجل فسلم عليه هاشم وإحترمه إحتراما شديداً لما فعلوه معه أثناء علاجه :

– إبراهيم ساب أمانة عندك يا عم صبري ؟

– ايوه يا ولدي استني

دخل وأحضر له قطعة القماش ولا يدري ما بها سلمها له فأخذها هاشم وسلم عليه وإنصرف.

سمع العمدة ربيع من بعض أهل الربايعة أن أولاد مهران ومعهم رجال مسلحين دخلوا البلدة فأرسل إلي إبراهيم الذي كان مازال نائماً فجاءه سريعاً فقال له :

– روح شوف المصيبة إلي جبتها للبلد جايين ليه ؟

وقبل أن يسأل أدرك شيخ الخفر أن ابراهيم لا يدرك ما الموضوع

فإقترب من أذنه وقال :

– أولاد مهران في البلد

– حاضر يا با هأروح أشوفهم

– بص إحنا ماعملناش معاهم حاجة وحشة لحد دلوقتي وفهمهم إن الربايعة مش هتسكت لو فكروا في حاجة ويا ريت ما يجوش البلد تاني عشان المشاكل مع الحكومة فاهم

– فاهم يا عمدة

واسرع إبراهيم متجهاً إلي بيتهم القديم فوجد هاشم خارجاً من الشارع المؤدي إليه وقفت السيارة أمام إبراهيم فنزل هاشم وسلم عليه فأخذه إبراهيم بعيداً عن السيارة بما فيها من رجال :

– عايزك ضروري لازم نقعد نتكلم

– تعالي

وذهب أمامه للسيارة وركبا معا بجوار السائق سارت خارجة من البلدة وعلي أول البلدة وقفت نزلا , إبتعدا خطوات وقال إبراهيم :

– دلوقتي احنا عملنا معاكم كل خير

– طبعا واحنا قلنا غير كده

– العمدة مش عايزكم تيجو البلد تاني عشان الحكومة وأنا هتأذي ولا أنت مش عارف ؟

– انت قلت لمالك علي مكان تبعكم ..أوضة كده في الزرع

– أيوه هأوديك تقعد فيها بس المهم تسيب البلد

ركبا السيارة مرة أخري ووقفت علي جانب الطريق ودخلا ومعهما الرجال في طريق ضيقة وسط الغيطان حتي وصلا إلي غرفة من الطين عليها بعض الأغصان والقش فكوَّنت سقفاً , دخل

هاشم وإبراهيم وجلسا وأخرج هاشم ما أخذه من صبري أبوضيف وبدأ يعد وتوتّر إبراهيم بشدة وعندما إنتهي نظرإلي إبراهيم وقال:

– بس ؟

– محدش رضي يدفع

– دلوقتي أرجع وأخليهم يدفعوا

– لأ .. سيب الموضوع ده عليّ بكره هأجيب لك الباقي

– مش أكتر من بكره

– ماشي

ذهب إبراهيم وأخذ يفكر ماذا يمكن أن يحدث اسوأ من ذلك ؟ وما الذي يجعله يظهر شريكاً لهما أمام أهل بلدته ولا يأخذ شيئ؟ وهل معقول أن يصرف المال عليهما لمدة شهر ببذخ شديد وعندما تأتي الفلوس لايفكر أحد أن يعطيه ولو جزء بسيط ؟ .

شعر هاشم أن إبراهيم يكذب عليه لأول مرة منذ أن عرفه

– طب ليه ؟ وكل إلي عمله معانا رجولة في رجولة ؟

وتذكر اخر كلمات مالك له :

– ما تديش الأمان لحد وما تصدقش أي حدعلي طول

– مفيش مانع أتاكد

قام هاشم بتوزيع الرجال لحراسته وقد ساعد القصب الذي يملأ الغيطان في صنع عالم مجهول بالنسبة لمن يفكر في مهاجمته, قرر أن ينام ولكن قبل ذلك أخرج الورقة التي بها أسماء نجع الربايعة وقال في نفسه :

– الورقة الي فيها أسامي الناس معاي كيف لميت الفلوس يا إبراهيم؟

وأرسل أحد الرجال إلي السائق ليذهب معه إلي منزل فاروق أبو

فواز ليسأله عن المال المطلوب .

ذهب السائق ودخل الربايعة وسأل عن منزل فارق حتي وصل إليه ثم قال :

– يا حج أنا من طرف هاشم مهران بيقولك الفلوس فين ؟

– قول له كل الناس إلي طلبتوا منها فلوس دفعوها لولد العمدة أكتر من تلتميت ألف عايزن إيه تاني ؟

– حاضر هأبلغه

مشي السائق وذهب الي مكان هاشم وأخبره بما دار بينه وبين فاروق أبو فواز فشعر هاشم بعدم الأمان تجاه إبراهيم فأخذ الرجال بالسيارة وذهب الي نجع القصَّاص لملاقاة مالك .

في نفس الوقت كان فاروق أبو فواز عند إبراهيم وحكي له ما حدث من سائق هاشم فشعر إبراهيم بالذعر وأنه إنكشف ولن يمر الموضوع في هدؤ فقال لفاروق :

– بص يا عم فاروق هما عايزين فلوس تاني وتاني ومش هيبطلوا ولازم نوقفوا لهم

– أنا قلت الكلام ده في الأول ومحدش سمعني وبعدين ما انت الي جبتهم البلد

– ايوه ناس كانوا معاك في الغربة وبينكم عيش وملح إنت لو مكاني هتعمل إيه؟ المهم تروح للناس الي خدوا منهم الفلوس وكل واحد يطلع هو أو حد من طرفه بسلاح بكره الفجر تكونوا أول البلد وأنا هاجيلكم

تنهد فاروق عندما فكر في الأيام الثقيلة القادمة وقال :

– إنشاء الله هتلاقينا في أول البلد

ذهب هاشم إلي نجع القصَّاص وجلس مع مالك وكان الوقت بعد العشاء فإنتظر حتي تناولا الطعام وجلسا سويا فحكي هاشم ما حدث من إبراهيم وكيف أنه لم يشعر بالأمان في الإقامة بغيطان الرابيعة فقال مالك :

- احنا هنروح له بكره ونشوفوا

وفي نفس الوقت كان عبد الوهاب يجلس في منزله مع مأمور المركز ورئيس المباحث يحكي ما حدث فقد قام العمدة عبد الستار بالإتصال بالمأموروأخبره بالأحداث التي قصها له الخفراء وبعض أهل البلدة وجاء الأمر للعمدة بجعل خفيرين أوأكثر لحراسة منزل عبدالوهاب .

وإنصرف المأمور ومن معه بعد معاينة اثار إطلاق النار وفكر المأمور في ضرورة بحث الموضوع سريعاً مع مديرالأمن لوضع خطة للقبض علي أولاد مهران أو قتلهم إن لزم الأمر ولكن كيف يمكن الوصول إليهم وسط زراعات القصب العالية والطرق الضيقة التي لا يعلمها ألا أهل القري ولا يمكن أن تمر بها سيارة والدخول في إشتباك في هذه الأماكن هو دخول في المجهول ولن يتحمل وحده الخسائر والقرارات الخاطئة .

بمجرد إنصرافهم طلب عبدالوهاب من ابنه سعيد أن يذهب إلي المدينة ويطلب من يوسف زوج أخته الحضور في الصباح ويبيت الليلة عنده فالرجوع ليلاً غير مأمون.

وفي الرايابعة قام إبراهيم بتحفيز أهل البلدة لمواجهة أولاد مهران ولم يجد العمدة ربيعُ بداً من الوقوف معهم مهما كانت النتيجة.

أشار إبراهيم بإختيار مكان معين في الطريق الداخل إلي البلدة وعمل مطب مرتفع في هذا المكان لإجبار أي سيارة علي السير

بيطء في هذا المكان. وسوف يقوم بعمل كمين من رجال مسلحين في هذا المكان ويتم مراقبة السيارات الداخلة والخارجة من البلدة من داخل الغيطان من مسافات مختلفة واتفقوا علبي اشارة معينة.

● ● ● ● ● ●

جاء الصباح زاعقاً وكان الجو حاراً ومايو يمر بطيئاً لزجاً علي نجع المشابك ونجع الربايعة والدنيا كلها إستعدت ففي الربايعة نام إبراهيم بجوار المطب هو والعديد من الرجال ومعهم أسلحتهم والبعض ظل مستيقظا تحسبا لقدوم أي سيارة .

وفي نجع القصّاص إستعد مالك إستعداداً غير عادي لهذه المهمة فجعل الرجال كلهم مع هاشم في سيارة وركب هو وحده في السيارة الأخري وإتجهوا جميعاً إلي الربايعة.

وفي نجع المشابك كان يوسف عند عبدالوهاب وطلب منه أن يراقب مالك بالذات ليعرف أين يقيم وخصوصاً أن أولاد مهران لا يعرفانه فعندما تزوج إبنته كان أولاد مهران بالكويت .

وفي المركز إستقل المأمور سيارة وأخذ معه رئيس المباحث للتوجه إلي مدير الأمن لعمل خطة لإنهاء هذا الموضوع الذي يجب أن يُقفل الان مهما كانت التضحيات .

إقترب مالك بالسيارة من مدخل نجع الربايعة وعلي مسافة رأي المطب المصنوع من التراب علي الطريق فأمر السائق بالتوقف ونزل وراح إلي هاشم في السيارة الأخري وساله :

- المطب المعمول ده كان إمبارح

- لا ما كانش فيه حاجة

كان بعض رجال من الربايعة يراقبون أولاد مهران ويعطون الإشارات بأنهم داخلين إلي البلدة وكان الإتفاق أنه عند وصولهما كلاهما أو أحدهما عند الكمين وبمجرد أن تهدأ سرعة السيارة لتجتاز المطب يبدأ إطلاق النار علي كل من بالسيارة ولا يبقون أحداً ولا حتي جزءاً بالسيارة بدون تدمير.

فهم مالك كل هذا بسرعة فنزل وركب السيارة الأخري مع هاشم وقال لسائق السيارة الأخري ولم يعد فيها غير السائق :

– أدخل الربايعة ولف وتعالي تاني

سارت السيارة بإتجاه إبراهيم ومن معه فخفضوا رؤسهم وأسلحتهم حتي يعطون من فيها الأمان ورجع هاشم ومالك بالسيارة الأخري ولم تعد في مرمي بصر أحد من رجال الربايعة رجع أولاد مهران في أمان ووصلت السيارة الأخري أمام رجال الربايعة وجهزوا أسلحتهم لبدء إطلاق النار علي من فيها ولكن لم يكن فيها الإ السائق ومرت بسلام ودخلت الربايعة وخرجت وسط ذهول إبراهيم ومن معه فتسائلوا :

– مش كانوا داخلين علينا

– وايه إلي خلاهم رجعوا

لكن إبراهيم لم يرد فهو يدرك مكر مالك الشديد وسرعة فهمه ومن المؤكد انه اكتشف الخدعة .

رجع مالك لمسافة كبيرة ثم نزل هو وهاشم ومن معهما وإلتف حول مكان المطب وبهدؤ بدأ يدخل الطرق الضيقة بين الغيطان وكان في هذه اللحظة قد ذهب معظم رجال الربايعة بعضهم قال :

– أهم فلتوا ومش هيجوا مدام عرفوا إننا مش هنسكت

وقال أكثر من واحد :

- احنا هنروح ننام شوية ونرجع بعد ما نصحي

وإعتقد الجميع أن أولاد مهران نفدوا بجلدهم ولن يعودوا علي الأقل اليوم.

دخل أولاد مهران القصب وشعر إبراهيم ومن تبقي معه أن هناك اشخاص مقبلين بين القصب نحوهم فجهزوا أسلتحهم ولكن مالك بدأ اطلاق النار قبل أن يظهر لهم فخرج الرصاص عليهم من داخل القصب بكثافة مما أدي إلي قتلهم في الحال ثم دخلوا الي مكانهم وشاهدوا إبراهيم ومن معه وقد فارقوا الحياة ، عاد مالك وهاشم ومن معهما سريعاً إلي السيارتين وركب الجميع بسرعة وعادت السيارات تجاه نجع القصَّاص ، إهتزت الربايعة لصوت إطلاق النار في ناحية الكمين الثابت عند المطب فحمل الرجال - الذين كانوا فيه وعادوا الي البلدة - السلاح وعادوا جرياً إلي الكمين وما أزعجهم واقلق كل أهل البلدة والعمدة علي رأس الجميع أن إطلاق النار كان كثيفا ثم توقف مرة واحدة جري الكثير من أهل البلدة تجاه مكان إطلاق النار فوجدوا إبراهيم وإثنين من أهل البلدة وقد فارقوا الحياة فبكي من بكي وتعالي صراخ النساء فسقط قلب العمدة عند سماعة الصراخ ينتشر من بيت إلي اخر فكل إمرأة تسأل جارتها القريبة منها :

- إيه الحكاية ؟

- رجالة البلد اتقتلوا

فتصرخ هي الأخري وهكذا إنتقل الصراخ من بيت إلي اخر حتي صار في كل البلدة من شباك أو فوق سطح منزل إمراة تصرخ

بحرقة لدرجة أن أولاد مهران وقد إبتعدوا مسافة كبيرة سمعوا هذا الضراخ .

اخذ مالك ثلاث رجال في السيارة التي يقلّها وإتجه إلي نجع المشابك وعلي أول البلدة وعلي القهوة التي عادت تفتح نهاراً فقط وجد فرج جالسا فوقف بالسيارة تجاهة وأشار إليه إشارة يسأله فيها عن الأحوال في البلدة فأعاد الإشارة إلي مالك بأن يدخل البلدة . دخلت السيارة نجع المشابك وإتجه مالك إلي منزل والده جلس معه وطمأنه عليه وعلي أخيه :

- بلاش يا ولدي تيجي بالنهار إسمع الكلام

- حاضر اخر مرة

أخرج مالك نقودا كثيرة وأعطاها لوالده الذي طلب منه أن يحتفظ بها ولكن مالك أصر علي أن يأخذها وقام وسلم علي والده وبكي بكاءاً شديداً مما جعل والده يبكي

- الواد ده غير العيال كلها ده مبكاش من يوم ما تولد وقعدنا نضربوا فيه مفيش فايده

هكذا كان يقول والده عندما يتحدث عن طفولة مالك

ولأول مرة يراه يبكي مما جعل مهران وسهام يبكيان بشدة في وداعه خرج مالك من الباب ونظر إلي والده وشقيقته وإنصرف . ركب السيارة هو ومن معه وبدأ يوسف نسيب عبدالوهاب علي دراجته البخارية يسير خلف سيارة مالك علي مسافة بعيدة وإتجهت السيارة إلي نجع القصّاص وعلي مسافة كبيرة وقف يوسف وإفتعل عطلاً حدث بالدراجة البخارية ووقف يراقب فتأكد من وقوف السيارة ونزول الرجال منها مما يدل علي إستقرار أولاد

مهران في نجع القصَّاص.

رجع يوسف إلي نجع المشابك وأخبرعبد الوهاب بمكان أولاد مهران.

نزل مالك عند خلف الله الجرجاوي وكان هاشم قد سبقه إلي هناك دخل المنزل فوجد هاشم وخلف الله يحسبان الطلقات المطلوبة عوضاً عن التي أُستخدمت اليوم جلس بجانبهم علي دكة يدخن سيجارة ويفكر في شيئ ما فقال له خلف الله :

- ايه يا مالك إنت زعلان علي الراحل إلي مات ؟

- كان اخر رجولة يا عم خلف الله بس نفسي أفهم ليه عمل كده هو حطني في موقف مفيهوش فصال يا قاتل يا مقتول

- المهم مطلوب خمس تلاف جنية

- ماشي إديله يا هاشم

أخد خلف الله النقود وإنصرف .

جلس عبد الوهاب يفكر في حيلة ما فهو مثل الكثيرين يعلم أن أهل نجع القصَّاص مأجورين لمن يدفع لهم فأرسل إلي يوسف زوج ابنته والذي ما يزال موجوداً بمنزله وطلب منه أن يذهب إلي نجع القصاص ويحاول أن يعرف أسماء السائقين وبالذات الذي مع مالك .

ذهب يوسف إلي نجع القصَّاص وهناك طلب تأجير سيارة نقل ليضع بها الدراجة البخارية التي لم يستطع إصلاحها وبالتالي تحتاج إلي سيارة للذهاب إلي المدينة , فأخبره أحدهم أن يأخذ سيارة مرزوق نسيب خلف الله الجرجاوي فإتجه إليه وطلب أن يوصِّله للمدينة ويضع الدراجة في الخلف في صندوق السيارة وتم ذلك فعلاً , وفي الطريق إلي المدينة تحدث يوسف مع مرزوق بإستفاضة وأخبره يوسف أنه قريب أولاد مهران من نجع المشابك

وإسمه عباس فأخبره مرزوق أنه يذهب مع مالك كل يوم وعندما وصل إلي شقته بالمركز قال له يوسف ما أخبره به عبدالوهاب بالحرف :

- انا قريب أولاد مهران اه.. بس فيه بينا مشاكل ومش هنرتاحوا مع بعض أبداً وإحنا عايزين منك خدمة بالأجر إلي عايزه

- عايز ايه بالظبط ؟

- وإنت ماشي بالعربية فيه مكان معين هنتفق عليه توقف وتقول العربية عطلت إنت هتنزل واحنا هنعملو إلي إحنا عايزينه تاخد كام ؟

- تلاتين الف تمن العربية وعشرين لي

- كيف ؟

- العربية مش هيفضل فيها عربية وسط ضرب النار يبقي مش اخد تمنها ؟

- إحنا هندوك عشرين الف ونصلحوا العربية ينفع ؟

- ينفع قوي فين المكان ؟

- قبل كوبري المقص عارفه ؟

- اه عارفه

- استني هنا شوية

صعد يوسف وأحضر لمرزوق عشرة الاف جنيه وأخبره أن الباقي بعد أن يُنفذ المطلوب منه غداً .

- بس عشان تبقي عارف مالك بكره ناوي ينزل في المغرب

- في المغرب في المغرب هنتستنوا عند الكوبري المهم إن العربية لازم تعطل علشان تنزل وإلا هتموت معاهم يا فقري

- ايوه فهمنا

إجتمع المأمور مع مدير الأمن وناقشوا طريقة لإنهاء موضوع أولاد مهران فقال المأمور :

- سعادتك اخر الأخبار إن مالك مقيم في نجع القصَّاص عند واحد اسمه خلف الله الجرجاوي

- وساكت ليه؟

- الأول هنبعت لخلف الله يساعدنا في القبض علي مالك ولو رفض هنهاجم البلد

وإتفق الحضور جميعاً علي رأي المأمور وعدم إستعمال القوة مباشرة وخصوصاً أن خلف الله يملك السلاح والرجال .

●●●●●●

تحركت السيارة بمالك وسته من الرجال إلي نجع المشابك بعد المغرب وعند أول البلدة وقبل كوبري ترعة المقص توقفت السيارة وكان عبد الوهاب وابنه ومروان وشقيقة وحامد هلال في إنتظار مالك في هذا المكان ونزل مرزوق ورفع غطاء الموتورفنزل مالك بسرعة وسأله :

- فيه ايه؟

- العربية عطلت

وأخذ يتحدث مع مرزوق الذي أراد أن يبعده عنه :

- أدخل العربية دقيقة واحدة وأنا هأخلص

إنتظر عبدالوهاب فلا يريد ان يقتل مرزوف لأنه يعلم صلة القرابة والنسب مع خلف الله الجرجاوي وهو رجل سمعته الإجرامية تسبقه , و مالك لم يقتنع بعطل السيارة فهي كانت تسير جيداً ولم تكن هناك مقدمات لحدوث عطل بها كان مالك لا يتحرك شبر واحد بدون سلاحه الذي يجهزه للضرب دائما أخذ ينظر في الزرع حوله فلاحظ حركة هادئة لبعض أعواد القصب في إتجاه معين , كان سعيد ابن عبد الوهاب يرفع رأسه ليراقب الموقف ويحكي للباقين المختبئين ولمحه مالك وتأكد أن هناك رأس شخص تصعد وتهبط علي ضوء عمود النور القريب من الكوبري فأطلق النار بكثافة تجاهه وأمر الرجال بضرب النار في نفس الإتجاه , شعر مرزوق بإرتباك وخوف شديدين فأغلق غطاء الموتور فجأة وركب السيارة وتحرك عائداً وركب مالك في الخلف مع

الرجال الذين إستمروا في إطلاق النار وشاركهم ووجههم للتركيز علي نفس الإتجاه ولم يستطع عبد الوهاب ومن معه أن يرفعوا رؤوسهم للرد علي إطلاق النار عاد مرزوق بسرعة وخرج من الطريق الداخلة إلي المشابك وسكن إطلاق النار ورفع عبد الوهاب رأسه ليصرخ بعدها فقد كان سعيد ابنه قد فارق الحياة فأمسك به وأخذ يصرخ منادياً عليه وقام مروان ومصطفي ورفعا سعيد علي الطريق وتجمعوا حوله وسقط عبد الوهاب عليه يبكي ويلوم نفسه. تنبه مروان لأمر السلاح الذي معهم فطلب من حامد هلال ومصطفي حمل السلاح إلي منازلهم حتي لا تجده الحكومة معهم حين تأتي .

كان مروان واقفاً وعبدالوهاب جالساً وممسكاً بسعيد يبكي حين جاء بعض الخفر مسرعين إلي مكان إطلاق النار ليجدوا سعيد مقتولاً وعبد الوهاب يصرخ بحرقة :

– والله لأقطعك حتت وأرميك للكلاب يا مالك

نظر الخفر إلي بعضهم البعض فذهب أحدهم مسرعاً إلي العمدة عبد الستار ليخبره بما حدث فقام علي الفور بالإتصال بالمأمور وأبلغه بالتفاصيل وأنهي إتصاله وتوجه إلي كوبري ترعة المقص خارج نجع المشابك وأرسل في طلب شيخ الخفراء وشيخ البلدة ووصل إلي هناك وقد تجمع الكثير من أهل البلدة .

باعد الخفراء بين الناس حتي وصل العمدة لعبد الوهاب الذي يمسك بابنه بين ذراعيه فقال العمدة :

– لو سمحتوا يا اخوانا كفاية فرجة كل واحد يروِّح بيته الحكومة جاية وإلي مالهوش لازمة في الوقفة الحكومة هتاخده

بمجرد سماع كلام العمدة بدأ أهل البلدة يتهامسون ويتحركون

تجاه البلدة .

إقترب العمدة من عبد الوهاب :

- ما لهوش لازمة الكلام ده يا حج عبدالوهاب قوم معاي وإمسك نفسك شوية .

وقف عبدالوهاب وطلب العمدة من شيخ الخفراء أن يضع الجثة علي جانب الطريق ويغطي وجهه بشاله وإنتظروا جميعاً حتي جاء المأمور ومعه رئيس المباحث والطبيب الشرعي , دقائق وتم أخذ جثة سعيد إلي المشرحة وذهب عبد الوهاب ومعه مروان وحامد هلال الي مركز الشرطة وإتهم أولاد مهران فسأله رئيس المباحث:

- انت شفت أولاد مهران بيضربوه بالنار .

وبسرعة أجاب :

- ولدي يا بيه قبل ما يموت قالي مالك قتلني ومات علي طول

تم التصريح بدفن الجثة بعد منتصف الليل وجاء تقرير الطبيب الشرعي واضحاً ثلاث طلقات نافذة إلي المخ أدت إلي الوفاة فوراً فأخذ عصام بيه يفكر أن هناك لغز غريب ويجب أن يعرفه.

تحركت بعض السيارات القليلة إلي المدافن وتم دفن سعيد وعادوا جميعا إلي المشابك.

جلس أولاد مهران في منزل خلف الله الجرجاوي واقترب مالك من هاشم لدرجة أن شعر هاشم بالقلق الشديد وقال :

- تاخد رجالتك إلي معاك دلوقتي وتقعد عند غيط الساقية بتاعنا فيه مكان واسع جنب الساقية القديمة تقعد فيه .

- ليه ؟

- أنا مش مرتاح للجماعة دول الي أنا عنديهم

- طب تعالي معاي
- لأ ..طول ما احنا مش مع بعض الناس هتخاف منينا
- اعمل الكلام إلي بقولك عليه
- حاضر

وقاما وسلّما سلاماً حاراً وخرج هاشم وطلب من أحد الرجال أن ينادي قط أبو عسران وجاءه السائق وطلب منه أن يجمع الرجال الذين يخرجون معه وتم تجهيز السيارة والرجال في دقائق وخرج هاشم من نجع القصّاص وقبل الدخول إلي نجع المشابك وقفت السيارة في مكان معين ونزل هاشم ومن معه ودخلوا في طريق فرعية وإتجه إلي غيط الساقية ومشوا علي ضوء القمر الخفيف الذي يتكسر بين الغيطان مرة تحجبه نخلة ومرة شجرة حتي وصل إلي الساقية القديمة.

رجع السائق قط أبوعسران وأثناء رجوعه وجد سيارة الشرطة ومعها سيارتين أخرتين متجهة كلها إلي نجع المشابك بعد إتصال العمدة وعندما رجع السائق حكي في نجع القصّاص عن :

- الحكومة المغفلقة إلي رايحة المشابك

فالكل سمع بما دار مع مالك عند كوبري ترعة المقص.

خرج مالك من باب المنزل ينظر إلي الأصوات المتداخلة التي سمعها فوجد أن أهل البلدة يجهّزون لنصب فرح فسأل .. فقيل له أن أحد رجال خلف الله كان سيقوم بطهور إبنه في سُكات فلما علم خلف الله بذلك رفض وطلب من الرجال أن يُخرج كل منهم الدكك والفرش الذي عنده وأرسل مرزوق بالسيارة لإحضار إحدي فرق المزمار البلدي القريبة من بلدتهم ولا مانع من شراء بعض زجاجات

الخمر والحشيش والكل هيفرح طالما خلف الله الجرجاوي هيفرح .

طلب خلف الله من أحد الرجال أن يذهب مع مرزوق وينزل قبل البلدة بمسافة وسوف يتبادل هو ورجل اخر المراقبة فمنذ اليوم يجب أن يحترس من الدخول في صدام مباشر مع الحكومة وفي حالة إقتراب سيارات الشرطة يقوم بإطلاق ثلاث طلقات ثم ثلاثة أخري فتبدأ البلدة في إخفاء السلاح وإخفاء مالك .

دخل مالك المنزل وجلس في الغرفة التي يقيم فيها يفكر فيما يجب أن يفعله مع مرزوق فمكن المؤكد أن مرزوق فكَّر في الخيانة وحده أو بالإتفاق مع عبدالوهاب فلو أراد خلف الله أن يقتله فسوف يقتله بسهولة ولن يهتم لأي أحد .

جاء صوت المزمار من بعيد وأخذ يقترب مع إقتراب السيارة حتي وصل إلي المكان الفسيح الذي يقع بين عدة منازل ومنها منزل خلف الله وكان التحذير واضحا من خلف الله بعدم إطلاق النار حتي لا تختلط الأصوات ولا تُسمع طلقات التحذير التي قد تأتي من خارج البلدة .

خرج مالك فوجد ترحيباً شديداً من خلف الله الذي أجلسه بجواره وقد إكتفي مالك بأخذ ضبنجة وترك السلاح في المنزل ، أخذ مرزوق يشرب الخمر بشراهة وقام ورقص مع الرجال علي المزمار ومالك يراقبه وإستمر الفرح لوقت متأخر فطلب خلف الله إنهاءه لربما يحدث شيئ في الغد ، وكان علي مرزوق أن يقوم بتوصل فرقة المزمار فوقف قط أبوعسران وقال :

- أنا هأوصّلهم إنت شكلك سكرت

- إنا ... طب من غير حرام ماحد يوصّلهم غيري

ولم يستطع أحد أن يثنية عن إردادته وخصوصاً أن أعراض

السُكر لم تبدو عليه بعد ، أخذ الرجال في حمل الدكك وإرجاعها لأهلها وتحرك مرزوق بالفرقة خارجاً من البلدة وفكَّر مالك في موضوع سوف يظهر للجميع أنه قضاء وقدر وذلك بعد ذِكر موضوع السُكر أمام الناس كلها ، بدأ كل واحد يدخل منزله ولكن مالك مشي وجلس أمام المنزل يدخن سيجارة .

لم يبق أحد غير مالك في الطرقات فأخذ يمشي في الطريق الخارج من البلدة ، مشي حتي وصل إلي الكوبري الذي يقطع ترعة المقص إجتازه بخطوات قليلة ثم جلس يفكر في هذه الخطوة الخطيرة التي سوف يقدم عليها فقتل مرزوق ليس أمرا هيناً ولكن لا أمان له فمن يدري المرة القادمة قد يُقدم مرزوق علي قتله بنفسه ولذا لا مفرمن قتل مرزوق مهما كانت النتائج .

ظهر نور السيارة من بعيد وبدأ يقترب فوقف مالك وأشار إليه بيده فعرفه ووقف له وقال:

- تعالي يامالك

- لا تعالي إنت نقعد شوية في الهوا

اطفأ محرك السيارة ونزل وإتجه ليجلس مع مالك الذي جلس علي جانب الطريق ، جلس بجواره أخرج مالك سيجارة وأعطاها له ولم يخرج له ثقاب فبحث مرزوق في جيبه عن ثقاب وفجأة أخرج مالك الضبنجة التي معه وضربه بقاعدتها أسفل عنقه ففقد الوعي فوراً ومال إلي الترعة ودفعه مالك برجله إلي الماء وقام وعاد إلي الطريق الداخل إلي نجع القصَّاص ، الرجل المكلف بمراقبة الطريق في حال وصول الشرطة إنتبه من غفوة تملكته عند سماع صوت سيارة قادمة نظر إليها فوجد أنها وقفت في مكان معين ثم

إنطفأ نور السيارة وأخذ يراقب الموقف الغريب الذي يشاهده ولم يستطع أن يكتشف شيئاً أخذ يراقب ثم بعد فترة ظهر رجلٌ قادمٌ من بعيد ولم تكن هناك إضاءة كافية ليتعرف عليه وكان كل ما يشغله هو السيارة دخل مالك البلدة وفتح منزل خلف الله ودخل غرفته ونام وكان الصباح قد أوشك علي القدوم.

ولم يستطع مالك أن ينام حتي الصباح إعتدل وجلس وأخرج سيجارة وأشعلها :

- هي موته ولا اكتر؟

إستعد مالك بسلاحه وأخذ ينظر ما سوف يستقر عليه الأمور جاء الصباح وأحضر له أحد الرجال الإفطار فتناوله ثم قال للرجل:

- شوف لي مرزوق والجماعة الي بيطلعوا معاي

- حاضر ولو إنه باين عليه نايم

دخل أحد الرجال الذين يخرجون مع مالك بسلاحه منزل خلف الله فوجد مالك جالساً فجلس بجواره بدون أن يقول كلمة ويبدو عليه الحزن الشديد فقال له مالك :

- مالك؟

- انا كنت رايح بره البلد أبدل مع الراجل الي هناك ولقيت مرزوق ميت في الترعة

- تبدِّل مع مين ؟

- من ليلة إمبارح علي طول فيه واحد يقعد بره البلد ولو الحكومة جات يدي إشارة .

فكر مالك قليلاً ثم قال :

- انت قلت مين مات ؟

- مرزوق السواق نسيب خلف الله ومش عارف اقوله كيف ؟
نزل خلف الله :
- صباح الخير
ثم نظر إلي الرجل بغضب وعلا صوته :
- انت لسه ما وقفتش بره البلد
- رحت بس لقيت مرزوق غرقان في الترعة
- مروزق مين ؟
- نسيبك
جلس خلف الله علي الدكة فأكمل الرجل :
- ما إنت شوفته إمبارح شرب كتير والناس قالت له خليك ما تطلعش
خرج خلف الله وخرج معه مالك وكان الخبر بدأ ينتشر بطيئا حتي وصل إلي قط أبو عسران السائق الثاني الذي يخرج مع أولاد مهران فجاء بالسيارة أمام منزل خلف الله ولما خرج خلف الله ومالك كانت السيارة أمامهما فركبا معاً وركب في الخلف بعض الرجال وخرجت السيارة خارج البلدة حتي وصلت إلي مكان علي أحد جانبي الترعة وقد تمدد عليه مرزوق بعد أن أخرجه بعض الرجال ممن سمعوا الخبر وتم نقله التي نجع القصَّاص وسط بكاء الرجال في السيارة وإنخرط خلف الله في البكاء وحاول مالك أن يهِّدأه وأمام منزل خلف الله تم إنزاله وإدخاله إلي الداخل .
تم دفن مرزوق سريعاً وسط بكاء البعض وعتاب البعض الاخر :
- انت خليته يشرب
- وأنا قلت له روح الترعة وانت ما تعرفش تعوم؟
وجلس خلف الله في المنزل وطلب من أحد الرجال أن يتولي قيادة

سيارة مرزوق ويخرج مع مالك ، لكن مالك أقسم أنه لن يخرج بالرجال ثلاثة أيام حزناً علي مرزوق وسيقوم بدفع أجرة الرجال والسيارة

● ● ● ● ● ●

أرسل رئيس المباحث في طلب عبدالوهاب الذي جاءه وجلس معه وقال له :

– بص يا عم عبد الوهاب حكاية إن ولدك قبل ما يموت قال لك مالك ضربه تشوف لك حاجة تانية تقولها .

– اقول ايه ؟

– عشان دم ولدك ما يروحش ببلاش وأنا عارف انك ما معاكش غيره انت خايف علي إيه تاني؟

شعر عبد الوهاب بأسي شديد وأدمعت عيناه وتكلم بكل حرقة وغيظ :

– شوف يا باشا ..انا أخدت جماعة ونصبنا كمين لمالك وإتفقت مع السواق إلي معاه وبدأ يحكي كل التفاصيل لرئيس المباحث حتي إنتهي عند مقتل سعيد إبنه

– بس الكلام ده مش كويس يا حج عبد الوهاب ده شغلنا إمال إحنا بنعمل إيه ؟

– ولا حاجة انتوا بتعملوا إيه يعني ؟ دخلتوا القصب دورتوا عليهم؟ رحتوا نجع القصَّاص وهاجمتم عليهم ؟

– يا حج احنا عاملين خطة وهنمسكهم

– انا كنت عايز أخد تار أخوي ودلوقتي بقالي نفرين عنديهم أخوي وولدي وده مش تار ساهل ما ممكن أموت أبوهم إلي مخِّوخ

في البلد لكن لأ مش هسيبهم

– طب ممكن تساعدنا نتفق تاني مع السواق إلي مع مالك والمرة دي إحنا إلي هنعمل كمين وممكن تكون معانا عشان تشفي غليلك بس من غير سلاح

– ممكن أساعدكم في دي

قام عبد الوهاب وإنصرف من المركز وإتجه رئيس المباحث لدراسة الموضوع مع قياداته.

ذهب عبد الوهاب إلي شقة إبنته وقابل يوسف وطلب منه إن يذهب إلي نجع القصَّاص ويقابل مرزوق السائق وشرح له أين يقف في المرة القادمة.

إتجه يوسف إلي نجع القصَّاص وسأل عن مرزوق فقيل له أنه ُوجد غريقاً في الترعة أمس وعاد بالخبر إلي عبد الوهاب الذي توقع أن هذا الموضوع لا يمكن أن يكون مالك بعيداً عنه وفي هذه المرة سوف يذهب هو بنفسه إلي نجع القصَّاص.

أرسل رئيس المباحث أحد المخبرين إلي خلف الله الجرجاوي وخيّره بين تسليم مالك أو ستقوم الحكومة بمهاجمة البلدة فأنكر خلف الله وجود مالك عنده

– وإذا كانت الحكومة نفسها في حاجة تعملها تعملها واحنا مستعدين

ذهب المخبر وأوصل الرسالة ، في نفس الليلة ذهب عبد الوهاب إلي نجع القصَّاص وسأل عن منزل خلف الله الجرجاوي وقام أحد الرجال بتوصليه إلي المنزل و إنتظره بالسيارة وجاء خلف الله فدخل السيارة وعرفه عبدالوهاب بنفسه وحكي كل ما حدث بينه وبين مرزوق وأنه متاكد أن مالك له علاقة بغرق مرزوق لكن خلف

الله لم يثق بكلامه وفكر أن هذا الرجل لم يستطع أن يأخذ بثأره فأراد أن يجعل شخص اخر يقتل له أولاد مهران , إنصرف عبد الوهاب وأرسل خلف الله في طلب الرجل الذي كان يحرس أول البلدة في هذه الليلة وجاء إليه :

- انت شفت حد دخل البلد وجاي من ناحية عربية مرزوق
- ايوه فيه واحد كان ماشي ودخل البلد
- وما رحتش تعرف مين هو ليه ؟
- العربية وقفت وفكرت انها ممكن تكون عربية الحكومة ومستنيه باقي العربيات وأنا إتلهيت فيها عشان أدي الإشارة
- ماشي روح روّح

وبدأ خلف الله يدرك أن كلام عبد الوهاب قد يكون صحيحاً , وفي صباح اليوم التالي ذهب عبد الوهاب إلي رئيس المباحث وأخبره بما فعله ومساعدة بسيطة تجعل خلف الله ومالك يقتلان بعضهما , وفعلاً أرسل رئيس المباحث نفس المخبر إلي نجع القصّاص وإلتقي بخلف الله وقال له :

- الحكومة متاكدة إن مالك ورا غرق نسيبك مرزوق سلمه أحسن لك بدل ما تدخل في مشاكل كبيرة دي اخر مرة هأجيلك إيه رأيك؟

صدّق خلف الله تماماً أن مالك وراء مقتل مرزوق وفكر قليلاً ثم قال للمخبر :

- انا هأسلمكم مالك ميت
- لو ميت يبقي بره البلد خالص
- محدش يخطّي خطوة علي نجع القصّاص
- هأبلغ الباشا

إنصرف المخبر وإتجه إلي رئيس المباحث ليخبره بما شاهده من إصرار خلف الله هذه المرة علي قتل مالك .

في هذه الليلة كان أحد الرجال الذين مع هاشم وكانوا من نجع القصَّاص يلتقي مع فرج علي مسافة قبل نجع المشابك فيعطيه الطعام والسجائر فهاشم ومن معه بعيدون عن كل الأخبار حتي السائق لم يعد يأتي ، وهاشم سوف يظل في مكانه إلا أن يطلب منه مالك غير ذلك أويسمع أن مكروهاً حدث لأخيه أو والده .

أثناء عودة الرجل وقبل أن يدخل الطريق الفرعية الداخلة إلي غيط الساقية وجد سيارة قادمة فأوقفها بعد أن وجه سلاحه نحوها فوقفت ونظر في خلفها فإذا بأبو السعود وهو رجل يغني في الأفراح ويعزف علي الة الربابة وكان مشهوراً جداً بأدواره فأشار عليه أن ينزل هو ومن معه فنزل الرجل بالاته الموسيقية البسيطة .

ودخل إلي الطريق المؤدية إلي مكان هاشم والرجل خلفهم بسلاحه وإنصرفت السيارة بسرعة ودخل أبو السعود حتي وجد هاشم ومن معه من الرجال يجلسون ومعهم أسلحتهم ويشعلون ناراً صغيرة لعمل الشاي فعرفه كل الرجال وفرحوا بوجوده وطلبوا منه أن يغني ، لكن هاشم فضَّل أن يتناولوا جميعاً العشاء والشاي أولا .

في هذا الوقت كان مالك يستعد للنوم في غرفته بمنزل خلف الله الجرجاوي فدخل خلف الله غرفته ونظر إلي رد فعله فوجد مالك دائما ينام والسلاح قريب منه جداً ومُجهز لإطلاق النار فقال له خلف الله :

- انت دلوقتي مش هتطلع تاني بالرجاله ؟
- لا طبعا هأطلع

- أنا قصدي إنك كل يوم تدفع أُجرة العربية والرجالة وقاعد معانا
- انشاء الله بكرة معاي مشوار بيهم
- براحتك أنا ما أقصدش حاجة ...وسلام عليكم
- وعليكم السلام ورحمة الله

إنصرف خلف الله وقد قرر أن يقتل مالك في هذه الليلة ، نام مالك وقد إطمان تماماً لموقف خلف الله منه ولا يمكن أن يكون قد إكتشف شيئاً بخصوص مقتل مرزوق ، بدأ خلف الله يجهِّز لمفاجئة مالك وقتله فوراً في الوقت نفسه بدأ المغني عند هاشم في الغناء.

أمسك خلف الله سلاحه وبدأ يجهزه بوضع الخزنة فيه

يا زمن لونويت ع الأسد بصحيح

خليه يموت أسد وسط الأسود وصحيح

نزل خلف الله ببطء علي السلم وحتي وصل أمام غرفة مالك

فين الكلام الصح ؟ يربطنا لسان وفصيح

فين الرجال الصح ؟ مايخون السليم وصحيح

فتح باب الغرفة ببطء ووصل فوق مالك

مفيش عندك أمان

شايف السبع تعبان

واطلق النار بكثافة علي كل أجزاء جسده وجري

تقتله وخايفه يقوم ويموتك بصحيح

وجاء الكثير من رجال نجع القصَّاص فور سماع إطلاق النار ففتح خلف الله لهم باب المنزل وقال :

- خدو مالك وأرموه بعيد عن البلد خالص

نظر الرجال إلي بعضهم ولا أحد يمكنه أن يتصور ما حدث جاء

قطـ أبوعسـران بالسيارة ووضعوا مالك فيها وقريبا من نجع المشابك تم إلقائه علي الطريق .

في الصباح عثر بعض أهل المشابك علي جثة ولم يقتربوا منها وإنما أسرع أحدهم إلي العمدة عبد الستار ليخبره فإتصل بالمأمور وخرج ومعه بعض الخفراء وأرسل في طلب شيخ الخفراء وشيخ البلدة ووصل إلي مكان الجثة ونظر فيها فعرف مالك وقد إمتلأ جسده بالطلقات , بدأ الخبر يتسرب إلي أهل نجع المشابك فأنكره بعضهم قائلين :

- اولاد مهران عاملين حجاب يخلي الرصاص يبعد عنهم
- بيقولك مات بعيد ورموه بره البلد لأنه محدش سمع ضرب نار

جاءت عربات الشرطة ونزل المأمور وتحدث مع العمدة :

- مين فيهم
- مالك يا باشا
- روح هات أبوه وتعالي للمشرحة

وتم أخذ جثة مالك إلي المشركة وبدأ الناس يتوافدون إلي المركز بعضهم شعر بالحزن لأن مالك ُقتل في نجع القصَّاص , والبعض الاخر فرح كثيراً لأن الأمور سوف تهدأ .

ذهب العمدة فوجد أن مهران قد وصله الخبر ويجلس في منزله هو وإبنته يبكيان فقال العمدة :

- انت عرفت بالي حصل

فهزَّ رأسه ولم ينطق

- قوم تعالي معاي للمركز عشان نلموا الموضوا وندفنوه

وقف مهران بصعوبة حتي ركب السيارة مع العمدة وفي المشرحة

تعرف عليه وأخذ يبكي بكاءاً حاراً وإستلم جثة ابنه وذهب هو والكثير من أهل البلدة للمدافن وتم دفنه وجاء بعض أهل البلدة يعزون مهران وعندما إقترب منه فرج أمسك بيده وإقترب من أذنه وقال:

- عارف مكان الواد التاني ؟
- عند الساقية القديمة بتاعتكم
- أوصله.. قوله ياخد باله من الناس إلي معاه لاحسن يقتلوه

ترك يد فرج وخرج من المدافن وركب السيارة وبمجرد وصوله المنزل وكان الوقت ظهراً جلس مع ابنته سهام التي كانت تبكي وقال لها :

- بطلي تبكي يا بت
- انت ما خلفتش بنات يابا
- من النهاردة هنمسك السلاح أنا وانتي ونطلع مع الواد الفاضل
- مانت عارف إن مالك علمني كل حاجة وكأنه عارف اليوم ده هيجي

قام مهران هو وابنته وفك الجاموسة وأخذها ومشي هو وسهام حتي أوصلها لمنزل الشيخ رضوان فخرج إليه فقال له مهران :

- عايز اسيب عندك أمانة يا مولانا
- الاول البقاء لله في مالك
- سبحان ربك الدايم
- ايه الأمانة ؟
- هاسيب الجاموسة عندك ولو حصل لي حاجة بيعها وتصدَّق بتمنها
- ليه ده كله انشاء الله ما يحصل إلا كل خير
- سلام عليكم يا مولانا

إنصرف مهران وابنته وخرجا من البلدة تجاه غيط الساقية

ووصل إلي هاشم والرجال جالسون يتحدثون مع بعضهم فأخذ هاشم وحكي له ما حدث منذ ساعات لمالك فإنهار هاشم وقبل أن يبكي ويصرخ همس له والده :

- خلف الله الجرجاوي ده مش هو إلي مديك الرجاله إلي معاك ؟

- أيوه

- ولا كلمة ...دول هيموتوك النهارده أو بكره بس هما ما حسوش بإلي حصل

كان هاشم ممسكاً بسلاحه فجهزه وإلتفت للوراء وأطلق النار عليهم فقتلهم في الحال ستة رجال من نجع القصَّاص لتبرد ناره علي أخيه وبعدها قال مهران :

- من النهارده مفيش أمان لحد أنا وأختك إلي هنحموك ونحمو روحنا

وأخذ سلاحين من أسلحة رجال نجع القصَّاص وأعطي بندقية لسهام وقال :

- لازم خلف الله ده يموت أنا مش هسيب ولدي يموت بلاش

قالت سهام :

- مش هينفع أي حد منكم يدخل نجع القصَّاص أنا إلي هموته اخد بتار اخوي وعشان الناس كلها تقول إن خلف الله الجرجاوي موتته مره

أخرج هاشم طبنجة من جيبه وأعطاها لسهام وخرجت علي الطريق وإنتظرت حتي جاءت سيارة فأشارت لها فتوقفت و ركبت بجوار السائق وقالت :

- وديني نجع القصَّاص

- حاضر يا أختي

إتجهت السيارة إلي نجع القصَّاص وقبل البلدة وقفت سيارة شرطة تراقب وتفتش من يدخل فرأت ذلك فكشفت وجهها وظهر جمالها الذي إكتسب من اللون الأسون بياضاً ونصاعة والحزن المغطي عينيها جعل نظرتها تأسر العيون التي تتلاقي معها نظر ضابط الشرطة فوجد إمرأة بالسيارة فأشار إلي السائق أن يمشي فلم يكن معهوداً علي أهل البلاد أن تكون إمرأة تحمل سلاحاً وتنوي القتل , وصلت سهام إلي داخل البلدة وسأل السائق عن منزل خلف الله الجرجاوي ونزلت وفتح أحد الرجال المسلحين لها باب المنزل وأدخلها نفس الغرفة التي كانت منذ أمس لمالك شقيقها ووجدت ملابسه وبعض أغراضة فإزدادت النيران غلياناً في قلبها أخرجت الطبنجة وجهزتها للإطلاق , دخل خلف الله ولم يخطر ببال أحد رجاله أن يهتم لأمر المرأة التي بمنزل كبيرهم قال لها خلف الله وقد تعجب منها :

- ايوه يا ستي عايزة حاجة
- ممكن تقفل الباب

أدار الباب بيده وأغلقة وقبل أن يلتفت للوراء كان السلاح مصوباً علي رأسه نظر إليها وقال :

- يا ريت لو ناوية تدوسي علي الزناد أعرف مين قتلني
- انا سهام أخت مالك

وضغطت علي الزناد فخرجت الطلقة إلي رأسه مباشرة فسقط علي الأرض نظرت إليه وجمعت أغراض أخيها وخرجت إلي السيارة وقالت للسائق :

- اطلع قوام

تحرك بالسيارة خارج البلدة ومرَّت علي الكمين في خارجها وخرجت بعيداً .

دخل أحد الرجال إلي منزل خلف الله وقد راوده الشك في سمعه لطلق ناري فوجده مقتولا فصرخ خارجاً وتجمع الرجال حوله ونزلت زوجته تصرخ .

وصلت سهام إلي غيط الساقية فوجدت فرج هناك ذهب ليخبرهم أن العمدة طلب الحكومة بعد سماع ضرب النار الذي ُقتل علي أثره رجال خلف الله ويجب أن يتركوا المكان فوراً .

بدأت الشرطة في نصب عدة أكمنة في مدخل ومخرج نجع المشابك وكل الطرق الفرعية وإختفي الضباط والجنود في القصب وإنصرفت السيارت . رجع فرج ولمح في نهاية الطرق الداخلة لغيط الساقية أحد ضباط الشرطة الذي أشار عليه ، أن يتقدم ويخرج من الطريق فخرج فرج وشعر أنها النهاية بعد دقائق خرج مهران وهاشم وسهام حتي وصلوا إلي الطريق وإنطلقت النيران من كل إتجاه عليهم فسقط مهران وسهام وأُصيب هاشم وقبل أن يرفع سلاحه جاءته طلقات أخري سقط بعدها وُزلزل نجع المشابك زلزالاً شديداً ثم وقف إطلاق النار وإتجه أفراد الشرطة إلي ما تبقي من عائلة مهران ليجدوا أن الموضوع قد إنتهي بكاملة بعد موت مهران وسهام وهاشم .

تمت